تركي الدخيل

كنت في أفغانستان

مشاهدات ويوميات
من بلاد الجهاد... والإرهاب

العبيكان
Obeikan

obeikandl.com

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الدخيل، تركي عبدالله عبدالعزيز
كنت في أفغانستان./ تركي عبدالله عبدالعزيز الدخيل.- الرياض، ١٤٢٩هـ
٢١٨ ص؛ ١٤ × ٢١ سم.
ردمك: ٨ -٤١٦-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨
١- الجهاد في أفغانستان ٢- أفغانستان - تاريخ - العصر الحديث
أ. العنوان
ديوي ٩٥٨,١ ١٤٢٩ / ٦١٨

رقم الإيداع: ١٤٢٩ / ٦١٨
ردمك: ٨ -٤١٦-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر العبيكان Obeikan **للنشر**
الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة
هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ - ٢٩٣٧٥٨١/ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨
ص.ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan
الرياض-العليا-تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة
هاتف ٤١٦٠٠١٨ - ٤٦٥٤٤٢٤/ فاكس ٤٦٥٠١٢٩
ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إكترونية أم ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي» أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

obeikandl.com

obeikandl.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٧
هدية النجاح.. لأفغانستان!	٩
حديقة خلفية.. لأفغانستان!	١٥
عشرة أعوام... لماذا؟!	٢٥
وغزوة منهاتن!	٣١
كيف بدأت القصة؟!	٤١
العبقري الصغير!	٤٧
بوابة الجهاد.. أم الإرهاب؟!	٥٣
وارتديت الزي الأفغاني!	٥٩
الطريق إلى... كابول	٦٥
الموت... يمر من هنا!	٧١
وزارة الخارجية الطالبانية!	٧٧
الطريق إلى ... بنجشير	٩٣
حوار الإخوة - الأعداء!	١٠٣
القائد الشرس.. والرجل الوديع!	١٠٩
في بنجشير: وادي الأسود الخمسة	١١٩
مسعود: تصرفات ابن لادن تسيء للإسلام والتفجيرات لن تسقط أمريكا	١٢٧
حوار مع مسعود	١٣٣
على أبواب كابول	١٣٧

obeikandi.com

مسألة كرامة ١٤٠
خصوم الأمس ١٤١
طالبان والقرار الباكستاني ١٤٤
أين دوستم؟ ١٤٦
الحشود الإيرانية ١٤٨
موقف مسعود من ابن لادن ١٤٩
بنجشير... الجنة المعزولة ١٥٥
الزمرد ١٥٩
رواتب المقاتلين ١٦٣
مسعود في عيون أنصاره ١٦٧
مجاهد.. أم عميل؟! ١٧٣
سبعة دولارات راتب الوزير! ١٨١
الغروب في وطن ينام تحت عمائم مقاتليه! ١٩٣
ملاحق: ١٩٧
ملحق ١: ترتيب السلطات في طالبان ١٩٩
ملحق ٢: وزارات طالبان وانتماءات الوزراء ٢٠٠
ملحق ٣: أعضاء مجلس الشورى في طالبان ٢٠١
ملحق الصور ٢٠٣

obeikandl.com

الإهداء

إليه...

وقد تلحَّف بياضهُ، عابراً مرضهُ، تختلطُ في كَفِّهِ

رائحة الدواء، والكافور، وحبرٌ آخر...

رسمةٌ، وسَّدها قلوبَ من أحَبُوه...

أكتبُ لك على شاخصِ قبركَ:

كم هم الذين يشبِهونكَ موتاً... يختلفون عنكَ

مِزيّة البسمةِ الأخيرة، الدائمة...

إلى روح أبي الشيهانة، صالح العزّاز، رحمه الله؛ فقد

كان يعتزُّ برحلتي إلى أفغانستان...

علّ دعوة تؤنسه...

obeikandl.com

obeikandl.com

هدية النجاح... أفغانستان!

obeikandi.com

obeikandl.com

obeikandl.com

أكتب لكم هنا، عن أفغانستان... تلك التي لم أزُرها –حتى كتابة هذه الحروف– إلا مرةً واحدةً، وبوصفي صحافياً فقط.

أقول ذلك مُذكِّراً بمقولات قذفها البعض، زاعماً فيها أني ذهبتُ إلى أفغانستان مجاهداً، وهذا لم يحدث، مع أني تمنيته في ريعان الصبا... ولم يتحقق!

عندما أكتب عن أفغانستان، فإنني أختزل في هذه الدولة الإسلامية، الكثير من ذاكرة أبناء جيلي، كشاب سعودي.

أتدرون ما أعنيه؟!

سأكون أكثر تحديداً عندما أروي لكم هذه الحادثة، التي تعبر عن الكثير مما وراءها...

عندما كنتُ في المرحلة المتوسطة،(بين العامين ١٩٨٤-١٩٨٦)، كان الجهاد الأفغاني في أوجه، وكانت بلادي، المملكة العربية السعودية، الحديقة الخلفية لهذا الجهاد، وهو ما جعل شاباً، أقرب إلى الطفولة، في الرابعة عشرة من عمره، هو العبد الفقير إلى الله، يقول لوالدته، وهي تحثه على الدراسة والمذاكرة، استعداداً للامتحانات النهائية: حسناً يا أماه، سأذاكر، وسأجدُ وأجتهد كما عهدتِني، وكما عَوّدتِني، ولكن...

فتقول الأم المحبة مقاطعة: هل ثمة (لكن) يقولها الابن لأمه، يا بُني؟!

فأُجيبُ بعنفوانٍ لا يُبارى: نعم... سأشرحُ لكِ، ولكن اسمحي لي أن أكمل...

فأنبري كخطيبٍ مصقعٍ: ألا يَعِدُ الآباء والأمهات أبناءهم بالهدايا، ويمنُّونُم بها، إن هم تفوقوا في دراستهم؟!

فترد أمي بالإيجاب، بحثاً عن النهاية. ثم أقول: أَفَئِنْ تفوقتُ في دراستي، تحققين لي ما أطلب؟!

قالت : هذا يعتمد على قدرتنا على توفير طلبك.

قلت : أؤكد لك يا أمي أن طلبي سهل تحقيقه، فهو متاح لي ولكم، بل إنه يُقَرِّبُنا إلى الله!

obeikandi.com

رأيتُ علامات التعجب ترتسم على محيا والدتي، وقد تحول وجهها إلى علامة استفهام كبيرة تنتظر مزيد إيضاح، فواصلتُ حديثي: أريد إن تفوقتُ في دراستي أن أذهب إلى الجهاد في أفغانستان!

فقالت: ليس لدي مانع إن تفوقتَ، أن تذهب إلى الجهاد في أفغانستان!

وانتهى المشهد، بأن ركضت إلى دروسي بجد ونهم وحرص!

ربما كان طلبي غريباً، لكنني اليوم بعد مضي أكثر من عقدين من الزمن على هذه الحادثة، أستغرب هذا الشرط، الذي سقته لوالدتي من أجل التفوق، وأستغرب أنّ الوالدة وافقت على هذا الشرط العجائبي، دون أي اعتراض!

هل تصورتم ماذا كانت أفغانستان، التي تبعد عن السعودية آلاف الأميال، تُشكل في نسيج فكر الشباب في السعودية؟ وكيف كانت تلك الموجة العارمة تجد القبول ليس لدى الشباب، فقط... بل ولدى كبار السن أيضاً؟!

هذا السؤال المفتوح وغيره، يجب أن يبقى مطروحاً للبحث والنقاش، وآمل أن تجد الأيام المقبلة، ولو مِن قِبَلِ الأجيال القادمة، من يجيب على السؤال الأكثر إلحاحاً: لماذا كان كل ذلك؟!

أتمنى إجابة من الأجيال القادمة؛ لأنهم أقدر وأحرى بالوصول إلى إجابة، بعيداً عن تأزم صراع التيارات، وتشنج المناكفات، وأوار الأحداث المتلاحقة في منطقتنا اليوم.

obeikandl.com

obeikandl.com

حديقةٌ خلفيةٌ... لأفغانستان!

obeikandl.com

obeikandl.com

امتداداً لقصتي مع والدتي، لم أذهب إلى أفغانستان، آنذاك، وأحمد الله على ذلك، ولا أذكر التفاصيل، لكنني أستشفُ من القصة كيف كُنّا أشبه ما نكون بحديقة خلفية للجهاد الأفغاني، ربما في وقت لم يكن فيه لأفغانستان، حتى حديقة أمامية! إذ أن أفغانستان من دول العالم القليلة التي ليست لها حدود مائية.

لقد كان الشاب ذو البضعة عشر ربيعاً، في مرمى سهام محاضراتٍ، كان يلقيها، آنذاك، قادة الجهاد الأفغاني (بينهم أفغان، وعرب، وسعوديون) في مساجد الرياض، وغيرها من المدن السعودية الكبرى، للتحريض على الجهاد بالنفس والمال... والمشاعر!

obeikandl.com

ولقد تفنن الفرقاء الأفغان في التنافس على اقتسام كعكة حماسة الشباب السعودي بالنظر إلى تدينه، فقد كان عبدالله عزام[١]، وأسامة ابن لادن[٢]، وقلب الدين حكمتيار[٣]، وبرهان الدين رباني[٤]، وعبد رب الرسول سياف[٥]، وجميل الرحمن[٦]، وصبغة الله مجددي[٧]... وآخرون، يتناوبون أو يتزاحمون على القدوم إلى مدن ومناطقها السعودية، لإلقاء المحاضرات، واستقطاب التبرعات، وأهم من ذلك سَوق زهرة الشباب، إلى حيث لهيب المعارك في أفغانستان[٨].

أذكر أن الشيخ الراحل عبدالله عزام كان يلقي محاضرة في الثمانينيات، يتحدث فيها في موضوعه الأثير والوحيد، الحث على الجهاد الأفغاني، في مسجد السحيباني في حي الربوة في الرياض، وأكادُ أُقسمُ أن الحاضرين الذين تزاحم بهم المسجد ليمتد جلوسهم إلى الباحات المجاورة، ويقدر عددهم بالآلاف، لو وجدوا حافلات في مواقف المسجد؛ لتُقِلَّهُم رأساً إلى أفغانستان، لذهب معظمهم في تلك اللحظة... ولكنتُ في طليعتهم!

لستُ في سياق لوم أحد، ولا أحكم على ما أرويه بالخطأ أو الصواب، بل هي حكاية ما حدث من شاهد عيان بسيط، كانت تحُرِّكه الأحداث، أكثر من كونه يحركها، أو حتى يُساهم في جزء بسيط من دوران عجلتها.

أقول ذلك كله؛ لأشرح ما كانت تعنيه لنا أفغانستان، حينها.

وأتحولُ للحديث عن الكتاب، فأقول: إني كتبته بلغة الصحافة، تلك التي يطلقون عليها اللغة البيضاء، أو اللغة الثالثة، وهي لغة سهلة، تستخدم الفصحى دون تقعر، وأرجو أن أكون قد وفقتُ في الكتابة بهذا الأسلوب.

onei kanal.com

ما أكتبه هنا هو الكثير من المشاهدات التي رصدتها من أفغانستان، وقد حرصت أن أكون فيها راوياً لما رأيت، متحرزاً من إصدار الأحكام ما استطعت، فهذه المهمة يجب أن تكون للقارئ وحده.

مهمة الصحافي، كما أراها، هي نقل المشاهدات والمعلومات للمتلقي الكريم، الذي لديه الأهلية الكاملة لاتخاذ ما يراه مناسباً من مواقف، يميناً أو يساراً، أو في منزلة بين المنزلتين.

وبعض مادة الكتاب نُشرت في جريدة «الحياة» الدولية، في العام ١٩٩٨، لكني أضفت إليها ما سجلته في أوراقي، ولم ينشر آنذاك، بالإضافة إلى بعض المعلومات التي رأيتُ أن القارئَ ربما يحتاجها، هنا أو هناك.

هل كنتُ وأنا أسافر إلى منطقة صراع واحتراب واقتتال، أبحث عن مجد شخصي؟!

أعترف لكم، بأن الإجابة بـ «نعم» صحيحة. لكن الإجابة بهذه الـ «نعم» فقط، ليست تعبيراً دقيقاً عن الحالة. مع أن الإجابة الحقيقية، لا بد أن يكون فيها الكثير من هذه الـ «نعم»!

على أني سأنازل الطرح هنا، في سبيل الحديث عن تفصيل المجد الشخصي، فقد كنت أبحث عن تراكم مهني، وتجربة واقعية حقيقية، يمكن أن تضيف إلى معرفتي الصحافية وقدراتي الشخصية شيئاً.

كنت أريد أن أؤهل نفسي مهنياً بشكل أعتبره، وفقاً لتقديري الشخصي والمهني، لائقاً.

obeikandi.com

obeikandl.com

١- هو عبد الله يوسف عزام، ولد في العام ١٩٤١ في قرية سيلة الحارثية، من أعمال جنين بفلسطين، تخرج في كلية الشريعة بدمشق في ١٩٦٦، وحصل على الماجيستير في العام ١٩٦٩، والدكتوراه في العام ١٩٧٣ من الأزهر في مصر. كان عزّام من مؤسسي الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد، انتقل إلى أفغانستان في العام ١٩٨٢. وهو الأب الروحي للمجاهدين العرب، وهم من أطلق عليهم فيما بعد اسم «الأفغان العرب»، إذ كان عزام صاحب الدعوة لتطوع المجاهدين العرب مع الإخواني المصري كمال السنانيري، وقد أسس مكتب خدمات المجاهدين في ١٩٨٤. ألّف عزام في الحث على الجهاد عددا من الكتب. أُغتيل في بيشاور في أفغانستان في ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩، وسقط معه ولداه محمد وإبراهيم.

٢- أسامة بن لادن، ولد في ٣ يوليو (تموز) عام ١٩٥٧م، واسمه بالكامل أسامة ابن محمد بن عوض بن لادن، مؤسس وزعيم تنظيم القاعدة، والذي يوصف بأنه تنظيم إرهابي، ولقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية؛ بتوجيه الاتّهام المباشر له؛ لتسبّبه في تفجيرات الخُبر، التي ثبت فيما بعد أن من قام بها بعض من متطرفي الشيعة بالمملكة، وتفجيرات نيروبي ودار السلام، وأحداث ١١ سبتمبر (أيلول) ٢٠٠١، التي أودت بحياة ٢٩٩٧ شخصاً، وهو على رأس قائمة المطلوبين في العالم (على قائمة الإنتربول)، ومكانه غير معلوم حتى الآن.

وُلد في الرّياض، في المملكة العربية السعوديّة، لأب ثري هو محمد بن لادن، الذي كان يعمل في المقاولات وأعمال البناء، وترتيب أسامة بين إخوانه وأخواته هو الـ ١٧، من أصل ٥٢ أخاً وأختاً.

درس في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة، وتخرج ببكالوريوس في الاقتصاد.

٣- ولد قلب الدين حكمتيار في ولاية قندز في العام ١٩٤٧، وتخرج في كلية الهندسة بجامعة كابول في العام ١٩٦٩، وانضم إلى الحركة الإسلامية الأفغانية منذ بداية السبعينيات، فسجن سنتين في العام ١٩٧١. كانت بدايات

العمل الإسلامي لحكمتيار في الجمعية الإسلامية التي أسسها برهان الدين رباني في العام ١٩٧٤ في المهجر، ثم انفصل عنه بعد اشتداد الخلافات بينهما؛ ليؤسس الحزب الإسلامي في العام ١٩٧٦. عُرف التاريخ السياسي لحكمتيار بكثرة التحالفات، فقد شارك مع الفصائل الجهادية في الحرب ضد الاتحاد السوفياتي التي اندلعت خلال عامي ١٩٧٩ - ١٩٨٩، وكان عضوا في الاتحاد الإسلامي الذي رأسه عبد رب الرسول سياف، في المدة بين ١٩٨٣ — ١٩٨٥، ثم شارك في تحالف المنظمات السبع، واختير في ٢٤ فبراير (شباط) ١٩٨٩، وزيرا للخارجية في حكومة المجاهدين الأفغان، إلا أنه جمّد عضويته في الحكومة في أغسطس (آب) ١٩٨٩، احتجاجاً على سياسات رئيس الحكومة برهان الدين رباني. وقد سبق حكمتيار قوات التحالف في الدخول إلى كابول، ولكن قوات أحمد شاه مسعود والجنرال دوستم استطاعت إجباره على الانسحاب منها. اختفى حكمتيار عن الساحة بعد وصول طالبان إلى سدة الحكم في كابول وبسط سيطرتها على أراضي البلاد، متخذاً من إيران منفى له، لكنه عاد للظهور مجددا بعد بدء الحملة الأميركية على أفغانستان، خاصة بعد أن أعلن أنه يعتزم العودة إلى البلاد والوقوف إلى جوار طالبان، معتبراً الدفاع عن أراضي أفغانستان هو الأولوية بعد سقوط طالبان، التي كانت خصمه في منتصف التسعينيات.

٤- برهان الدين رباني من مواليد ١٩٤٠ في مدينة فيض أباد مركز ولاية بدخشان. ينتمي إلى قبيلة اليفتليين ذات العرقية الطاجيكية السنية. التحق بمدرسة أبي حنيفة في كابول، لتعلم الدين واللغة، و بعد تخرجه في المدرسة انضم إلى جامعة «كابول» في كلية الشريعة عام ١٩٦٠، وتخرج فيها عام ١٩٦٣، وعُيِّن مدرسًا بها. في العام ١٩٦٦، التحق بجامعة الأزهر وعاد بشهادة الماجستير في الفلسفة الإسلامية، إلى جامعة كابول؛ ليُدرس الشريعة الإسلامية. واختارته الجمعية الإسلامية ليكون رئيسا لها في ١٩٧٢. وفي عام ١٩٧٤، حاولت الشرطة الأفغانية اعتقاله من داخل الحرم الجامعي، لكنه نجح في الهروب إلى الريف بمساعدة الطلبة، وهو ثاني رئيس

obeikandi.com

لدولة المجاهدين في كابول بعد سقوط الحكم الشيوعي في أبريل (نيسان) ١٩٩٢. خرج رباني من كابول في ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٦، إثر استيلاء طالبان على العاصمة. ظل ينتقل بين إيران، وولايات الشمال التابعة له. ويعتبر رباني أحد أبرز زعماء تحالف الشمال الذي كان معارضاً لطالبان.

٥- عبد رب الرسول سياف من مواليد مدينة بغمان بولاية كابول سنة ١٩٤٤. رئيس «الاتحاد الإسلامي» الأفغاني. كانت التسمية الأولى لسياف هي عبد الرسول، وهو اسم ينتشر بين الأفغان، لكنه عندما درس في مصر، عدّل اسمه إلى عبد رب الرسول سياف. حصل سياف على درجة الماجستير في الحديث الشريف من جامعة الأزهر، وانضم إلى الحركة الإسلامية مبكرا، ثم صار بعد الغزو السوفيتي لأفغانستان من ألمع قادة المجاهدين وأشهرهم خاصة في العالم العربي لما يتمتع به من فصاحة وطلاقة لسان، وبخاصة في اللغة العربية.

احتفظ بتنظيم الاتحاد الإسلامي بعد أن كان هذا الاسم يشمل جميع تنظيمات الجهاد التي دخلت في اتحاد عام ١٩٨٣، ثم ما لبث أن انفض ليخلفه بعد ذلك اتحاد آخر، لكنه ظل هشا إلى أن دخل المجاهدون إلى كابول بعد سقوط الحكومة الشيوعية في العام ١٩٩٢. شارك سياف في الحرب الأهلية بعد دخول المجاهدين كابول، فحارب حزب الوحدة الشيعي في غرب العاصمة، ثم انضم إلى صفوف تحالف الشمال عندما سيطرت حركة طالبان على أغلب مناطق أفغانستان. وبعد سقوط طالبان عاد سياف إلى منطقته «بغمان» قرب كابول، وظل يشارك بفعالية في الحراك السياسي الأفغاني، وكان له دور بارز في تذليل الخلافات بين الفرقاء في اجتماعات اللوياجرغا التي انبثق عنها الدستور الأفغاني، مطلع العام ٢٠٠٤. ترشح سياف للبرلمان الأفغاني وصار نائبا فيه، لكنه فشل في الحصول على منصب رئيس البرلمان؛ لأنه بشتوني، ولأن الموازنة العرقية في أفغانستان تقتضي أن يكون رئيس البرلمان من الطاجيك، فكان المنصب من نصيب يونس قانوني.

٦- جميل الرحمن، زعيم جماعة الدعوة إلى الكتاب والسنة في أفغانستان، وهي أولى الجماعات السلفية، التي شاركت في الجهاد الأفغاني، وكان للزعيم السلفي الأفغاني الراحل جميل الرحمن علاقة وثيقة بالشيخ الراحل مقبل بن هادي الوادعي شيخ السلفيين في اليمن، وبالعلماء السلفيين في السعودية. قُتل جميل الرحمن غيلة في ٣١ أغسطس (آب) ١٩٩١، وتشير أصابع الاتهام إلى قادة المجاهدين الآخرين، بالنظر إلى كون جميل الرحمن استطاع أن يسحب بساط الاهتمام السعودي منهم، لكونه الأكثر اهتماماً بمسائل العقيدة، وهو ما لم يكن معروفاً في أفغانستان. أما قاتله فهو مصري من الأفغان العرب، يدعى أشرف بن أنور بن محمد النيلي.

٧- شغل صبغة الله مجددي منصب الرئاسة في أفغانستان، ليكون أول رئيس من المجاهدين للبلاد، عندما استلم المجاهدون الأفغان الحكم بعد سقوط النظام المدعوم من الاتحاد السوفياتي في ١٩٩٢، كما يعتبر قريبا من حكومة قرضاي، حيث شغل منصب رئيس مجلس الشيوخ في أفغانستان، وقد نجا من عدد من محاولات الاغتيال التي قامت بها طالبان لاستهدافه.

٨- تُجمع مختلف المصادر على أن أكبر عدد من المجاهدين المتضامنين مع القضية الأفغانية، من خارج البلاد، كانوا من السعودية، وهكذا فإن عدد الذين قدموا أنفسهم للجهاد في صفوف السعوديين كان الأكبر بين الدول العربية والإسلامية. انظر(الحركة الإسلامية في أفغانستان)، الحسن بن علي الكتّاني، مجلة الحكمة، العدد ١١ ص ١٢٢، ١٢٣.

عشرة أعوام... لماذا؟!

obeikandl.com

obeikandl.com

التاريخ: الرحلة موضوع الكتاب تمّت في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٨.

المكان: -المملكة العربية السعودية: الرياض.

- باكستان: بيشاور، ومنطقة القبائل.

- أفغانستان: جلال أباد، وكابول، وبنجشير...

obeikandl.com

اليوم أقدم صفحات رحلتي إلى أفغانستان، بعد مضي نحو عشرة أعوام على هذه الرحلة، في هذا الكتاب الذي بين أيديكم، والذي اخترت له عنواناً: «كنت في أفغانستان».

لماذا أحرر رحلتي بعد عشرة أعوام، وليس بعد أشهر، أو عام، أو عامين، أو حتى ثلاثة... بل بعد عشرة أعوام كاملة؟!

أصدقكم القول بأن تسويغ ذلك عندي تتداخل فيه عناصر كثيرة، بعضها شخصي، والآخر خارجي. أحد هذه الأسباب أنني أردت التريث؛ حتى لا أكون متأثراً بأجواء المرحلة، يميناً أو يساراً. فقبل عشرة أعوام كنت

ابن خمسة وعشرين ربيعاً، ومع أني سعيت لهذه الرحلة بإصرار داخلي مني ولم يجبرني عليها أحد، كأن تكون داخلة في نطاق المنطقة الجغرافية التي كنتُ مكلفاً بها، أو ضمن مهامي الوظيفية. لا، لم يكن في الأمر شيءٌ من ذلك، فقد كنت محرراً سياسياً في جريدة «الحياة»، في مكتب الرياض، عاصمة السعودية، وتغطيتي الصحافية كانت تطول، الشأن السعودي بخاصة، والخليجي إذا اتسعت الدائرة، ولم تكن أفغانستان تقع ضمن منطقة تكليفي ومهام عملي بتاتاً.

ثمة هوس المهنة الذي كان يجتاحني، مذ كنت صغيراً، ذاك الذي جعلني أذهب إلى اليمن لتغطية الحرب الأهلية في العام ١٩٩٤، وأنا في شهر العسل، مواجها بكاء زوجتي التي تركتها في الأسبوع الرابع من زواجنا، لأغادر إلى بلادٍ أنغامها، إذ ذاك أزيز الرصاص...

كيف واجهتها؟!

بصورة وحيدة كانت تغشى ذهني، وتسيطر على أخيلتي، هي التفوق المهني، وبناء سيرة ذاتية مهنية قائمة على التغطيات الجسورة!

هل كنتُ غِرّاً –حينها- أمتثل، فقط، لفورة الشباب، وعنفوانه، وإقدامه؟!

ربما...

الحقيقة أني أدين في الكثير من مهنيتي، لهذا العنفوان المهني.

ففي الوقت الذي كان يمكن لي –كما الكثير من أقراني- أن أمارس الصحافة تحت نفحات برودة أجهزة التكييف، في المكاتب الصحافية

الوثيرة، مستفيداً من الاستقرار السياسي الذي تعيشه بلادي... قررت أن أكون صحافياً!

صحافياً!

بمعنى أن يكون النزول إلى موقع الحدث، هو المرتكز الذي تقوم عليه المهنية، والمهنة.

لستُ أقلل من قيمة عمل المطبخ الصحافي، لكنّ من لم يعرف المرور على كل مراحل العمل الصحافي، فسيواجه مشكلة في فهم طبيعة المهنة، والتعاطي مع الزملاء، وتقدير الأشياء مهنياً، وإنزالها منزلتها الطبيعية.

ربما يجيب ذلك عن السؤال: كيف جاءت فكرة رحلة أفغانستان؟!

obeikandi.com

obeikandl.com

غزوة منهاتن!

obeikandi.com

obeikandl.com

الموضوع: شيءٌ من الحرب الأفغانية.
الجهات ذات العلاقة: - طالبان.
-تحالف الشمال.
-أسامة بن لادن، والأفغان العرب.
-الولايات المتحدة الأميركية.
المكان: أراضي أفغانستان.

obeikandl.com

معظم أحداث هذا الكتاب تعود إلى شهر أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٨، وربما كانت أحد عناصر الأهمية في هذه المدة أن الكتاب يتحدث عن مرحلة كان الصراع فيها طاغياً بين الفرقاء الأفغان، ويمثل طرفهم الأول حركة طالبان، التي أسقطتها الولايات المتحدة –لاحقاً– في ضربات الغضب المنبثقة عن ذيول أحداث الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) ٢٠٠١، بالنظر إلى اتهام طالبان[١] بإيواء القاعدة وزعيمها أسامة بن لادن.

أما الطرف الثاني، فكان تحالف الشمال[٢]، ولم يكن من تحالف الشمال شيءٌ على الأرض في الحقيقة، غير قائده أحمد شاه مسعود، الذي قتلته القاعدة غيلة قبل أحداث سبتمبر (أيلول) بيومين اثنين.

لم يكن مسعود شخصاً عابراً في تاريخ الجهاد الأفغاني، فهو أول قائد انتصر على الروس في معركة (بنجشير٣) في العام ١٩٨١. آنذاك، حقق مسعود نصره وحيداً، دون أن ينضم إليه أحد من القادة الأفغان.

لم ينضم إليه أحد قبل معركة (بنجشير٧) في مارس (آذار) من العام ١٩٨٤.

لقد كانت انتصارات مسعود، بداية انتصارات الفصائل الأفغانية، في الحرب ضد السوفيات، وخاتمتها كذلك[٣].

وعلى الرغم من إنجازات مسعود هذه، فقد كان أنصار القاعدة يصفونه دائماً بـ «القائد الخبيث»، وأحيانا بـ «القائد الهالك»، وربما ستتبين سبب ذلك، عندما تقرأ، في هذا الكتاب، رأي مسعود في تصرفات القاعدة، وابن لادن.

وستبرر اعتبار أنصار ابن لادن مقتل مسعود، «الحدث العظيم في تاريخ أفغانستان»!

يروي مؤسس تنظيم القاعدة في السعودية، يوسف العييري، الذي عمل حارسا شخصيا لابن لادن مدة طويلة، أن اغتيال أحمد شاه مسعود كان بأمرٍ مباشرٍ من أسامة بن لادن، ولنترك عيسى بن سعد العوشن، أحد أهم أعضاء تنظيم القاعدة في السعودية، يروي القصة، كما جاءت في مجلة (صوت الجهاد)، الناطق الإعلامي باسم تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، من خلال ترجمته للعييري. يقول العوشن: «حصل الحدث العظيم في تاريخ أفغانستان وهو اغتيال القائد الخبيث، أحمد شاه مسعود، فكانت فرحة الشيخ (يوسف العييري) لا توصف، وأذكر أنني مررت عليه حينها،

وقلت له: ما الخبر؟!، فقال لي (العييري): إن الشيخ أسامة قال للإخوة: من لي بأحمد مسعود، فقد آذى الله ورسوله، فانتدب بعض الإخوة أنفسهم لاغتياله واحتساب الأجر والثواب من الله الكريم، وحصل ما سمعتم من خبر مفرح. وبعدها حصلت الأحداث المباركة في أمريكا معقل الإلحاد، فكاد الشيخ أن يطير فرحا»(٤).

كانت القاعدة تعلم أن ما تصطلح هي وأنصارها على تسميتهما بغزوتي مانهاتن وواشنطن، أو غزوة الحادي عشر من سبتمبر، وتريد بهما أحداث سبتمبر (أيلول)، ستهيّج المارد الأميركي، وهذا هو عين ما كانت تبحث عنه بكل طريقة، وأي وسيلة، وهياج واشنطن سيستلزم رداً في أفغانستان، ولأن طالبان كانت حينها تسيطر على أكثر من ثلثي أفغانستان (وصلت في بعض الأحيان المناطق الواقعة تحت سلطة طالبان إلى أكثر من ٨٥ في المئة من أراضي أفغانستان)، فقد تصور ابن لادن أن مقتل أحمد شاه مسعود، القائد الأول والعنصر الأهم في تحالف الشمال، سيفتت هذا التحالف، فلا يجد الأميركيون عوناً لهم عندما يزمعون الرد على أحداث سبتمبر (أيلول)!

لكن ما خططت القاعدة له، نجح بعضه، ولم ينجح كله.

فأما الذي نجح، فهو اختطاف الطائرات، والاصطدام بها في برجي التجارة، في مانهاتن نيويورك، ومبنى وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون) في واشنطن، بالإضافة إلى طائرة رابعة سقطت في بنسيلفانيا، قيل: إنها كانت تقصد البيت الأبيض، مقر الرئاسة الأميركية، وقيل: إنها كانت تريد ضرب الكونجرس الأميركي.

وأما ما لم تنجح القاعدة فيه، فهو، ما بعد اغتيال أحمد شاه مسعود في أفغانستان، فتحالف الشمال كان عوناً للقوات الأميركية على إسقاط

كابول، وانتزاعها من حكم طالبان، وتحول من بقي من طالبان إلى جبهة مُعارضة، تنفذ من وقت إلى آخر عمليات عسكرية... هنا وهناك.

لم تكن أفغانستان في ١٩٩٨، عندما كنتُ فيها، بالأهمية ذاتها التي أصبحت عليها بعد سبتمبر (أيلول) ٢٠٠١، عندما أصبح العالم كلهُ، يبحث عن المطلوب الأول في العالم، أسامة بن لادن، ومن تبقى من تنظيم القاعدة، وهو ما ساهمت فيه -بطبيعة الحال- الآلة الدعائية الأميركية، بحيث إن ابن لادن أصبح أهم شخصية فاعلة - غائبة عن الأحداث، حتى في اللحظات التي لا يفعل فيها شيئاً!

وأُقدّم هذا الكتاب، في العام ٢٠٠٨، ولا يزال أسامة بن لادن وجُلُّ أركان قاعدته غائبين، والله وحده يعلم في أي بلاد الله هم؟ وكيف هي أحوالهم؟ وكيف يعيشون؟ من بقي منهم من الأحياء؟ ومن أصبح في عداد الموتى؟

تظهر من وقت إلى آخر، تسجيلات صوتية لابن لادن، أو للدكتور أيمن الظواهري(٥)، يُعلّقان فيها على الأحداث السياسية، بالتهديد والوعيد، دون أن يُعرف بشكل قاطع أين هما؟

لكن المؤكد أن جُل هذه التسجيلات تهدف في المقام الأول إلى إثبات الحضور، وتأكيد البقاء، وبث شيء من الروح في نفوس الأتباع.

على أن هناك، في الطرف الآخر، من أصبح يعيش على تحليل هذه الأسئلة، وتناول احتمالاتها، وتفكيك افتراضاتها، ويتلقف فتات المعلومات، والكثير من الإشاعات، ليبني عليها، ما يُبنى... وما لا يحتمل البناء!

لقد فتح غياب ابن لادن، في ديارٍ أغلب الظن أنها تقع تحت سيطرة

الولايات المتحدة، المجال ليُطلق البعض مخيلتهم بعيداً... إلى جهة اعتبار الطرفين، ابن لادن وأميركا، مشتركين في مخطط واحد، متفقين على ذات السيناريو، «وإلا هل يعقل أن يستعصي على الآلة الأميركية، معرفة أين يختبئ ابن لادن، بعد مرور أكثر من ستة أعوام من تكشير المارد الأميركي عن أنيابه؟!»، كما يعبر صراحة ديبلوماسي أفغاني!

opeikandl.com

obeikandl.com

١- طالبان جمع طالب في لغة البشتو، وهي حركة تجمع طلاب المدارس الدينية، وقد بدأت بمجموعة تضم ٥٣ طالبا، نجحوا في يوليو (تموز) ١٩٩٤ في نزع سلاح مجموعات من أتباع الحكومة في قندهار، وفي أغسطس (آب) من العام نفسه، بايعوا الملا محمد عمر (٣٥ عاما حينذاك) أميرا. استطاعت الحركة استقطاب النجاحات وحققت تعاطفاً سريعاً في الشارع الأفغاني نتيجة الاستياء العام من الفساد المستشري في البلاد، وتوالت انتصاراتهم سريعا، وانضم لهم أسامة بن لادن، بعد عودته من السودان إلى أفغانستان، ومعه معظم الأفغان العرب. في ٢٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٦، تمكنت طالبان من السيطرة على العاصمة الأفغانية كابول، وفي عام ١٩٩٨ نجحت في تأكيد انتصارها على قوات التحالف الشمالي، واسترداد بعض المدن التي انسحبوا منها من قبل، وفي ١٩٩٩ بسطوا نفوذهم على معظم أفغانستان.

٢- يعتبر تحالف الشمال تحالفاً عسكرياً، وقد تشكل في العام ١٩٩٣، قبل خروج الروس من أفغانستان، وسيطرة فصائل المجاهدين على كابول. تباين تحالف الشمال، بين اتساع وضيق، بحسب التحالفات التي تنشأ وتنتقض، لكن تركيبته الرئيسة كانت تضم رئيس الحكومة الأفغانية المخلوعة على يد طالبان، برهان الدين رباني، ووزير الدفاع في الحكومة ذاتها أحمد شاه مسعود، الذي يعد مركز التحالف حتى اغتياله في العام ٢٠٠١، وعبد رب الرسول سياف، وكان جملة من الجنرالات يشاركون تارة في التحالف وينسحبون منه تارة، مثل الجنرال عبد الرشيد دوستم، والجنرال نبيه عظيمي، والجنرال آصف ديلاور (الجنرالات الثلاثة شيوعيون كانوا من أنصار نجيب الله)، وضم التحالف أيضاً مجموعات من الأقلية الشيعية المسلحة ممثلة في حزب الوحدة وزعيمه القائد كريم خليلي. بعد سقوط طالبان في العام ٢٠٠١، أصبح معظم قادة تحالف الشمال أعضاء في حكومة قرضاي. كما ضم التحالف بعض مجموعات الأقلية الشيعية المسلحة مثل القائد كريم خليلي.

obeikandi.com

٣- الحركة الإسلامية في أفغانستان، الحسن بن علي الكتاني (مجلة الحكمة العدد ١١ ص ٩٨- ٩٩.

٤- انظر: سيرة يوسف العييري، بقلم عيسى العوشن، ضمن (سير أعلام الشهداء)، الصادر عن «صوت الجهاد»، مجلة القاعدة في جزيرة العرب.

٥- ولد الدكتور أيمن الظواهري في ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٥١، وسط أسرة مصرية معروفة، فجده لوالده هو الشيخ محمد الأحمدي الظواهري، أحد شيوخ الأزهر السابقين، والذي سعى لبيعة الملك فؤاد بالخلافة في العام ١٩٢٥ في مؤتمر الخلافة المشهور، كما أن جد الظواهري لأمه هو الدكتور عبد الوهاب عزام، أبو الجامعة العربية، وأول من شغل منصب الأمين العام للجامعة، وعزام هو أول مترجمي شعر محمد إقبال إلى العربية. سافر الظواهري إلى أفغانستان، قادماً من جدة، في العام ١٩٨٥، ليعمل طبيباً في مستشفى الهلال الأحمر الكويتي في بيشاور، وقد توطدت علاقته مع ابن لادن منذ العام ١٩٨٦، واستمرت حتى أسسا معا تنظيم القاعدة في فبراير (شباط) ١٩٩٨.

obeikandl.com

كيف بدأت القصة؟!

obeikandl.com

obeikandl.com

الزمـان: أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٨.
التاريخ: ١٣/ ١٠/ ١٩٩٨.
المكـــان: مكاتب جريدة «الحياة» في الرياض، شارع العليا العام.
الموضوع: - تجميد العلاقات بين السعودية وطالبان.
- حشد القوات الإيرانية على الحدود الأفغانية.
- وساطة رجل أعمال أفغاني، يعيش في السعودية، بين بلاده وطهران.

مَرَّ قبلاً ما كانت تعنيه أفغانستان، بالنسبة لغالبية الشباب السعودي، منذ الغزو السوفياتي في العام ١٩٧٩، وحتى دخول المجاهدين العاصمة كابول في العام ١٩٩٤، بل حتى بعد ذلك...

شخصياً، ذهبتُ إلى هناك، من دون أي تصور أو موقف مسبق، سلبيٍّ كان أو إيجابيٍّ تجاه شخص أو جماعة، وسواءً أكانت حكومة طالبان التي سيطرت حينها على نحو ٨٠ في المئة من أراضي أفغانستان، أو تحالف الشمال الذي كان يقوده عملياً وزير الدفاع في الحكومة الأفغانية المخلوعة، أحمد شاه مسعود.

obeikandl.com

وأحسبُ أن هذا، هو دور الصحافي أو الإعلامي، فالمفترض أن يكون موضوعياً، ينقل الصور والأحداث، بعين منصفة، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، غير منحاز إلى أحد، تاركاً للمتلقي حق الحكم على الأشياء.

أما قصة رحلة أفغانستان، فتبدو غريبة، بعض الشيء؛ لأنها مفاجأة، ومفاجِئة، ولم تمتثل لخطط مسبقة.

كنتُ، بوصفي مراسلاً سياسياً لجريدة «الحياة»، في السعودية، أُتابع العلاقات السعودية – الإيرانية، كما العلاقات السعودية – الأفغانية، وقد مرت الأولى بشيء من الازدهار إثر زيارة الرئيس الإيراني الأسبق، علي أكبر هاشمي رفسنجاني، إلى السعودية، ومن بعده سيد محمد خاتمي، إبان رئاسته الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بالإضافة إلى زيارة الملك عبدالله بن عبدالعزيز، عندما كان ولياً للعهد، وولي العهد الأمير سلطان ابن عبدالعزيز، يوم كان نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للدفاع، إلى إيران، مدشنين علاقة جديدة ولافتة مع طهران، بعد زمن من التوتر منذ قيام الثورة الإسلامية على يد آية الله الخميني في العام ١٩٧٩، وما تلاها من توتر بلغ ذروته في المواجهات بين الحجاج الإيرانيين المتظاهرين والقوات السعودية في مكة المكرمة منتصف الثمانينيات!

وبالنظر إلى كون السعودية ثاني دولة اعترفت بحركة طالبان حاكماً لأفغانستان، بعد باكستان، وقبل الإمارات العربية المتحدة، فقد كان الاعتراف السعودي مثاراً للكثير من التساؤلات والتعليقات، وقد ازدادت هذه التعليقات بعد أن عادت السعودية، عقب أشهر من الاعتراف بطالبان حكومة شرعية في أفغانستان، لتعلن تجميد علاقاتها الديبلوماسية معها،

obeikandi.com

وسحب القائم بالأعمال السعودي من كابول، وأمهلت السفير الأفغاني في الرياض، حينذاك، أياماً معدودة لمغادرة أراضيها[1].

صادف أن جاءت هذه التطورات في أجواء تحسن العلاقات السعودية - الإيرانية.

وكانت علاقات طهران بكابول -حينها- متوترة، فقد حشدت إيران قواتها على حدود جارتها أفغانستان، إثر مقتل ديبلوماسيين إيرانيين من قبل عناصر طالبان بعد سيطرة قوات الأخيرة على المدينة الأفغانية الشمالية المهمة باميان، التي كانت في حوزة قوات التحالف الشمالي، المُقَرّب من إيران.

كان الشمال الأفغاني منطقة لنفوذ الشيعة الأفغان، ممثلين على وجه الخصوص بحزب الوحدة الشيعي، وهو ما جعل التواجد الإيراني أمراً طبيعياً في باميان، عاصمة الشمال الأفغاني، لمّا كانت قوات التحالف الشمالي، تسيطر عليها.

ثم كان أن قُتل ديبلوماسيان إيرانيان إثر دخول عناصر من طالبان عليهما في قنصليتهما، وفتح النار عليهما، دون اعتبار لحرمة ديبلوماسية.

هكذا ببساطة، وربما صفاقة، ودون تعقيدات.

اعتذر قادة طالبان، بعد ذلك، عن الحادث، بوصفه تصرفاً فردياً، قام به أفراد من القوات، دون أن يأتِمروا بأمر قادتهم!

١- اعترفت السعودية بدولة طالبان في ٢٦-٥-١٩٩٧ بعد يوم واحد من اعتراف باكستان بها، ثم طلبت في العام التالي، ١٩٩٨، من القائم بأعمال طالبان مغادرة الرياض.

obeikandi.com

في تلك الأثناء، جرى ترتيب وساطة بين إيران وأفغانستان، كان يقف خلفها السفير الإيراني لدى الرياض –آنذاك– محمد رضا نوري شهرودي، الذي تواصل مع رجل أعمال أفغاني، كان مُقرباً من طالبان ويقيم في السعودية، يدعى سيد جلال كريم، بغية الوصول إلى هذه الغاية.

obeikandi.com

العبقري الصغير!

obeikandl.com

obeikandl.com

سيد جلال، هذا، قصة بمفرده... فقد كان عبقرياً في العلوم والرياضيات وهو لم يتجاوز السادسة من عمره، ولا زلت أذكر أن التلفاز السعودي استضافه لاستعراض عبقريته التي أدت به إلى دخول الجامعة، وتحديداً جامعة البترول والمعادن في الظهران، وهو في تلك السن الصغيرة!

انقطعت أخبار العبقري الأفغاني، ولم يظهر لي على الأقل، إلا باعتباره رجل الأعمال الأفغاني المقيم في السعودية، والذي يقود وساطة بين بلاده وبين إيران!

كنتُ صحافياً أبحث عن القصة، وأحاول أن أتابعها، فاتصلت بسيد جلال؛ لأستوضح منه الأمر، وأمام سيل أسئلتي الهاتفية، قال لي: سأزورك في المكتب غداً.

obeikandl.com

لم أُكذّب خبراً، فهلّلتُ لزيارته ورحبت، وبالفعل كان سيد جلال يجلس أمامي في مكتبي في جريدة «الحياة» بالرياض في أوائل شهر أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٨.

سألتُه عن الوساطة، فقال: إنه سيذهب بعد أسبوع إلى أفغانستان، لمتابعة أمرها مع حكومة طالبان وقادتها.

كان سيد جلال مُعجباً بحكومة طالبان، كثيرَ الحديث عن صِدق رجالاتها، ونزاهتهم، وبُعدهم عن استغلال المال العام، وحرصهم على مصالح الناس، وهو ما لم يجده الناس في أفغانستان مُمارساً من قادة الجهاد السابقين، ما أفقدهم الكثير من أسهمهم لدى الجمهور، وأثّر في شعبيتهم سلباً، وساهم في صعود شعبية طالبان، لا سيما في بدايات ظهورها.

عندما تقف خلف دعم ومساندة من تعتقد أنه يقاتل بدافع ديني وقومي، ثم تكتشف أنه يستغل نفوذه وسلطته، لتحقيق مكاسب شخصية ومادية، وأنه أسال من دمِ الشعبِ ما غيّر شكل الخريطة، حتى بات الناس يتضورون جوعاً، فإنك لن تُصدم به فقط، بل ستؤيد بديله، أياً كان هذا البديل.

بينما كان سيد جلال يجلس إلى مكتبي، لا أدري ما الذي جعلني أُطلِقها من لساني مباشرة، دون مراجعة أو تأمل، فأقول له: هل تسمح لي أن أرافقك، إلى أفغانستان، لأطَّلع على هذا الثناء الذي تسبغه على طالبان؟

لماذا لا تجعلني أحكم بنفسي على تجربتهم طالما أنت واثق كل هذه الثقة بهم؟!

جحظت عينا جلال، حتى خُيِّل لي أن حدقتيه استقرَّتا أعلى جبهته استغراباً، فما الذي يريده هذا الشاب؟! وهل هو صادق أم أنه متمحسٌّ يطلق الكلمات على عواهنها؟!

بعد تأمل... قال: إن كنت صادقاً، فلِمَ لا؟!

قلتُ له: متى تريدني أن أحجز مقعداً، وأذهب لأدفع قيمة تذكرتي؟!

قال جلال، الذي كانت تجارته في صعود حينها: انتظر. قد نُسافر على متن طائرة خاصة. عندها لا حاجة للحجز!

قلتُ له: إذن ألتقيكَ هناك. فجريدتي لا تسمحُ لي بالسفر في طائرة خاصة، لأداء مهمة صحافية.

كنت أريد أن أقول لجلال: إنني أعمل في صحيفة تضمن استقلاليتي، بتمويلها لمصاريف رحلتي الصحافية كاملة، وما أحتاجه منك هو التفضل بتسهيل مهمتي وتواصلي مع الناس.

قال لي سيد جلال: سأراجع جدولي لمعرفة أوقاتي وأخبرك. بعد ذلك قرر السفر على متن الخطوط الباكستانية، وهو ما فعلته أنا أيضاً.

في المساء، اتصلت برئيسي، داود الشريان، وكان حينها مدير مكاتب جريدة «الحياة» في السعودية والخليج، فاستأذنته في الذهاب، فوافقني وأيدني، دون تردد، وشرعتُ أرتب للسفر، بعد أن تم تحديد موعد المغادرة.

obeikandl.com

obeikandl.com

بوابة الجهاد... أم الإرهاب؟!

obeikandl.com

obeikandl.com

الزمـان: ليل السبت - الأحد.
التاريـخ: ١٨ / ١٠ /١٩٩٨.
المكــان: مطار الملك خالد الدولي في الرياض.
الوجهة: بيشاور (باكستان)، في الطريق إلى أفغانستان...

obeikandl.com

سافرتُ على متن الخطوط الباكستانية من الرياض إلى لاهور ليل السبت الثامن عشر من أكتوبر (تشرين الأول) من العام ١٩٩٨، وبعد توقف دام ساعتين في لاهور، وصلت بيشاور صباح الأحد.

كان في استقبالنا نائب القنصل العام الأفغاني، وهو بطبيعة الحال ممثل لحكومة طالبان التي كانت آنذاك تسيطر على معظم الأراضي الأفغانية، في مقابل جزء يسير تحت سيطرة ممثل تحالف الشمال الأهم أحمد شاه مسعود.

كانت نسبة سيطرة الفريقين على الأراضي تزيد وتنقص باعتبار الكر والفر، على أن ذلك الوقت كان يشهد انتصارات تحققها طالبان على

الأرض يوماً بعد آخر، ما جعل المدة التي وصلنا فيها، تحفل بالكثير من التوقعات بأن تصبح أفغانستان عن بكرة أبيها طالبانية، في غضون الأيام القليلة اللاحقة.

توجهنا فور وصولنا إلى قنصلية طالبان في بيشاور الباكستانية، بغية الحصول على تأشيرة سفر لي.

وصلنا إلى مبنى متوسط الحجم تحيط بجوانبه الأشجار الوارفة، وسور متوسط الطول، يقع في أحد الأحياء الراقية في المدينة الباكستانية، التي كانت بوابة للجهاد... والإرهاب... ووكالات الاستخبارات العالمية، و... ما بين ذلك كله!

وعندما أتحدث عن حي راقٍ في بيشاور، فأنا أُخضع وصفي للمعيار النسبي، فقد كان الفقر يعم المدينة المكتظة بالسكان، ولا يحتاج اكتشافه مزيد جهد يبذله الزائر للمدينة.

قابلنا القنصل في مكتبه، وخلال أقل من نصف ساعة، قضينا معظمها في أحاديث ارتكزت على مستقبل طالبان في الحكم، كنتُ أحمل جوازي وقد مُهر بختم تأشيرة دولة طالبان الإسلامية، إيذاناً بالدخول إلى أفغانستان. (انظر صورة التأشيرة في ملحق الصور).

أنا الآن على مقربة من أفغانستان، التي شغلتني، كما شغلت معظم السعوديين، طيلة عقدين مضيا قبل وجودي في قنصليتها في باكستان، وأحسب أنها شغلتنا عقداً بعد ذلك، وربما أكثر...

obeikandi.com

أنا الآن في المدينة التي كانت حلماً لي ولأبناء جيلي. هذه التي نسجوا لنا حولها الأساطير، ورووا لنا أن الملاحم وقعت على أرضها، في الطريق إلى الأرض التي لم يكن يرِد ذكرها إلا متبوعاً بمفردات العزة والكرامة والجهاد!

وفور أن أخذتُ جوازي، دعانا القنصل إلى تناول الإفطار في فندق مجاور، وبعد أن انتهينا وَدّعَنا، وبدأنا في الاستعدادات الحقيقية للتوجه إلى أفغانستان.

obeikandl.com

obeikandl.com

وارتديتُ الزي الأفغاني!

obeikandl.com

obeikandl.com

الزمـان: صباح الأحد.
التاريـخ: ١٩/ ١٠/ ١٩٩٨.
المكـــان: أحد فنادق بيشاور، باكستان.
الوجهة: أفغانستان، مروراً بالحدود الباكستانية - الأفغانية.

obeikandi.com

خلال تناول الشاي، كان ابن عم سيد جلال، واسمهُ سيد جواد مُقدّس، قد انضم إلينا. كان وزني حينها يزيد على ١٦٠ كيلوغراماً، قبل أن تصير أطلالاً وذكريات قديمة مندرسة، وكان مُقدّس سميناً، إلا أنه لا يدانيني في البدانة[(١)].

اقترح جلال على ابن عمه أن يحضر لي لباساً أفغانياً من ملابسه؛ لأننا لن نجد في السوق مقاساً ملائماً، ولن ننتظر خيّاطاً ليُفصّل لنا ما يناسب وزني. بعد نصف ساعة، عاد مُقدّس بأكبر مقاس لديه. ارتديته وبالكاد دخلتُ فيه!

---

(١) راجع إن شئت: ذكريات سمين سابق، تركي الدخيل، العبيكان للنشر.

يسمي الأفغان زيهم (بيرهان)، أو (توم باون)، وهذا اللباس عادة ما يكون فضفاضاً، لكن هذا بدا عليّ وكأنه زي طفل يرتديه والده!

كانت فكرة جلال أن اللباس الأفغاني يُزيل الشبهات التي يمكن أن تنسجها أخيلة البعض حيال دخول أجنبي إلى البلاد.

امتطينا صهوة سيارة نقل (بيك أب) ومضينا من بيشاور إلى منطقة القبائل، المتاخمة للحدود الأفغانية - الباكستانية.

كانت أسراب من البشر تقطع الحدود راجلة، بالإضافة إلى بهائم وضع عليها من البضائع والأغراض الخاصة، الشخصية والمنزلية، ما تنوء به قوتها. لذلك كان الحيوان الأكثر قطعاً للحدود هو الحمار وما في حكمه.

اضطررنا إلى الوقوف عند مركز حدودي متواضع، يديره ثلة من الشبّان لا يتجاوز عمر أكبرهم الخامسة والعشرين ربيعاً. بعد نصف ساعة وجدنا أنفسنا نذرعُ مساحات الأرض الأفغانية.

وجلال أباد هي أول ولاية في الطريق إلى كابول، وتبعد سبعين كيلومتراً تقريباً عن الحدود الأفغانية.

لم نجد صعوبة في الوصول إلى جلال أباد، فالطريق كانت سالكة، ولم نحتج إلى أكثر من ساعة للوصول إليها حيث توقفنا فيها، ودخلنا دار الوالي، مولوي[1] عبد الكبير، وقابلنا نائبه، مولوي صدر أعظم، وكتب لي

١- نسبة إلى المولوية، وهي جماعة من الصوفيين تنسب نفسها إلى المولى جلال الدين الرومي. اتسع لفظ مولوي في العصر العثماني، حتى أصبح يطلق على كل عالم وفقيه وزاهد.

الأخير ورقةً أكد فيها أني ضيف أمير المؤمنين، راجياً ألا يتعرض لي أحد بسبب حلقي للحيتي!

لم أكن أعي قيمة هذه الورقة، التي كانت تُسهِّل انتقالنا كثيراً، إلا عندما وصلت إلى كابول، بعد سفر زاد عدد ساعاته على عشرين ساعة، مع أن المسافة بين جلال أباد وكابول، لا تزيد عن مئتين وستين كيلومتراً تقريباً.

وفي العاصمة علمتُ أن متطوعي الطالبان، يعاقبون من يحلق لحيته بالجلد والسجن أسبوعاً، قد تتطور إلى أسبوعين، إذا رافق حلق اللحية ارتكاب محظور آخر!

كانت طالبان تكافح بتلك العقوبات، وأخرى تماثلها، ما تعتبره فِسقاً ومُجوناً ورذيلة، كسماع الموسيقى، وحلق اللحى.

صلَّينا في جلال أباد الظهر والعصر، جمعاً وقصراً، وغادرناها منتصف الظهيرة، في الطريق إلى... كابول.

obeikandl.com

obeikandl.com

الطريق إلى... كابول!

obeikandl.com

obeikandl.com

الزمـان: منتصف ظهيرة يوم الأحد.
التاريـخ: ١٩ / ١٠ / ١٩٩٨.
المكـــان: ولاية جلال أباد المتاخمة للحدود الباكستانية - الأفغانية.
الوجهة: العاصمة الأفغانية، كابول.

الطريق إلى كابول وعرة جداً، حتى بدا لي أن من عَبَّدَ الطريق، لم يكن لديه إلا قليلٌ من الإسفلت، لا يكفي لشارعٍ صغيرٍ، لكنه -على الرغم من ذلكَ- نثرهُ في كامل الطريق بين جلال أباد وكابول.

لا يصعب عليك أن تتلمس الفقر على المسافرين، الذين تمر عليهم، وهم يتنقلون راجلين، مشياً على أقدامهم، أو رعياً لبهائمهم، وستجد أن الحروب المتواصلة، لم تترك فرصة لتنمية الإنسان أو المكان.

كانت السيارة التي تُقلنا حديثة نسبياً، لكننا اضطررنا لتغيير دواليبها «عجلاتها» سبع مرات، فهي كانت تنفجر في كل مرة، بسبب وعورة الطريق، وفي كل مرة كُنَا نستخدم البديل، حتى نصل إلى من يصلح دواليب السيارة

obeikandl.com

(بنشر)، فنقدم له المعطوب ليصلحه، وهو ما يحتاج نحو ساعة من الانتظار.

عندما بدأنا نسير في طرق جبلية، كنتُ أرى الرُعاة يمتطي كل منهم صهوة حمار!

وكنتُ أقول لنفسي: أعانهم الله، فالحمار يمضي ببطء في مسافات طويلة. لكنَا كُنا نتجاوز بعض الرعاة وحميرهم، ثم نتوقف لإصلاح دواليب السيارة، فيتجاوزنا الراعي الذي كنا تجاوزناه قبل قليل، فهو وإن كان يمضي ببطء، إلا أنه يسير بانتظام، على مركبة يندر أن تتعطل، وإن لم تُسرع!

عندما أوشكنا على بلوغ مشارف كابول، ولم يتبق لنا للوصول إليها سوى ساعة تقريباً انفجر الإطار، دون أن يكون لدينا بديل جاهز. توقفنا بعدها ساعتين ننتظر من يُقلنا، فلم يتوقف ليُقلّنا إلا سائق حافلة اكتظت بالرُكّاب من الجنسين، حتى إن الواقفين في الحافلة كانوا أكثر من الجالسين.

كانت الشمس قد غربت، وادلهمَّ الليل البهيم، فازدادت برودة الجو، حيث داهم الشتاءُ البلادَ في أكتوبر (تشرين الأول).

مصباح الإنارة كان مضاءً داخل الحافلة، وبدا البُؤس والأسى أول رسالة يمكنك قراءتها في وجوه المسافرين.

وصلنا كابول في العاشرة والنصف مساءً، ولكنّ قوات طالبان كانت تحول بين من هم خارج العاصمة، وبين دخولها ليلاً، إذ أن أحكام حظر التجول كانت نافذة في ساعات الليل، حتى ما بعد صلاة الفجر، وهو ما يعني الصباح، فالأفغان يتبعون المذهب الحنفي، والأحناف من بين المذاهب السُّنية الأربعة، هم آخر من يصلي الفجر، فلا ينتهون من الصلاة، إلا وقد بدأ النهار في الطلوع.

على مدخل المدينة، حيث الحاجز الذي أُوقِفنا عنده، ثلاث غرف مبنية من الطين، جُعلت لانتظار المسافرين، حتى يدخل النهار، ويُسمح لهم بولوج عاصمتهم.

في البداية، حاول سيد جلال عبثاً أن يشرح للمسؤول عن الحاجز أننا مدعوون لمنزل وزير الخارجية، ملا محمد حسن، وعندما فشلت محاولات جلال، اضطررنا إلى الجلوس مع المنتظرين في تلك الغرف.

كنتُ أعجب من انتشار اللحى بين الرجال، وظننت أنه بسبب منع طالبان من حلقها، لكني علمت أن تربية الذقن عادة أفغانية في الأساس، باتت طالبان تمنع من حلقها.

من الأمور التي نالت شيئاً من استغرابي، أن البعض كان يُدخِنُ السجائر أمام عناصر طالبان، ولم أر أحداً يمنعه من ذلك، فعلمتُ عندما أبديت عجباً، أن التدخين لا يقع ضمن المحرمات لدى طالبان، وليس كما يرى جُلّ العلماء في السعودية.

بعد مدة انتظار، استمرت ساعات، اقتنع المسؤول عن البوابة بعد طول مفاوضات، بالسماح لنا بدخول كابول. كانت سيارتنا التي تعطلت قبلاً قد لحقت بنا. فركبناها ودخلنا العاصمة.

الذي يُشاهد مظاهر الفقر منذ دخول الحدود الأفغانية – الباكستانية، لا يمكن أن يتخيل كابول كما رأيتُها، مدينة واسعة الشوارع، عامرة البيوت، منظمة التصميم، في شوارعها الرئيسة إنارة معقولة حتى في منتصف الليل.

obeikandi.com

صحيح أنك تستطيع سماع دبيب النملة، بسبب حظر التجول، لكنك تلمسُ، برغم سواد الليل، مدينة كبيرة، مختلفة عما مررنا به من أفغانستان طوال يوم كامل.

كان فندق الإنتركونتيننتال، الفندق الوحيد في المدينة، ذا خدمات متواضعة، فعلى سُكّانه أن ينزلوا ليشتروا صفائح الماء من المدينة، ثم يصعدوا بها إلى غرفهم، ليحصلوا على ما تساعدهم عليه مياهُ تلكَ المدينة من نظافة...

ومن يعيش بلا ماء؟!

رفض سيد جلال أن أبيت في الفندق، وطلب مني أن نبيت الليلة في منزلهم، أي منزل أسرته، ولم أعترض على الفكرة بتاتاً، وبخاصة بعد أن سمعت عن قصة صفائح الماء، ومهام الخدمة الذاتية التي يلزم سُكّان الإنتركونتيننتال أن يقوموا بها.

توجهنا إلى المنزل، وبما تبقى من ذاكرة لدى سيد جلال، حاولنا الوصول إلى مقصدنا، ما اقتضى أن نجوب شوارع لا يقع فيها منزلهم، ظناً منه أن أحدها قد يكون شارع المنزل، وأن نقف أمام أبواب تبين لنا لاحقاً أن أيّاً منها لم يكن باب دارهم... حتى وصلنا إلى المنزل، فإذا به مظلمٌ، وكانت معظم البيوت المسكونة، تضيء مصباحاً على مدخلها.

طرق جلال الباب بما أوتي من قوة... حتى تَعِب، وتأكد أن لا أحد في المنزل.

obeikandl.com

الموت... يمُرُّ من هنا!

obeikandl.com

obeikandl.com

ذهبنا بعدها إلى منزل وزير الخارجية، فقال حُراسه: إنه نائم، وإن أحداً لم يخبرهم أن ضيوفاً سيحلون على الوزير، وبخاصة بعد منتصف الليل، فعدنا أدراجنا.

بعد خروجنا من منزل وزير الخارجية، كان أحد عناصر طالبان يتأبط كلاشينكوفاً، ويحرس المنطقة المحيطة بمنزل الوزير، وحاول إيقافنا طالباً كلمة السر، لكن سائقنا لم يستمع إليه.

رأيتُ كل من في السيارة يقفزون على السائق لتنبيهه لوجوب الوقوف، بعد أن هيأ الحارس سلاحه للإطلاق!

obeikandl.com

كان المشهد درامياً، فقد مر الموت إلى جانبنا، وكان من الممكن أن يصيبنا، لو لم تكن ردة فعل السائق، كما يشتهيها الحارس!

فرحت؛ لأن المنايا اخطأتنا فعمَّرنا، وإن لم نهرم بعد.

لم أكن قد نمت منذ البارحة ما يكفيني في الطائرة، وارتدائي اللباس الضيق، زاد من ضيقي. وقد استبد بي الجوع، فأنا لم آكل لقمة منذ ضيافة والي جلال أباد في الصباح، وبخاصة وقد خشي سيد جلال أن يؤذينا أكل المطاعم الواقعة على طريق كابول، مُمنياً إيانا بطعام طيب في العاصمة.

ذهب الخوف والتعب بالجوع، وبتُ على مشارف الثالثة صباحاً، لا أرى حلماً إلا مكاناً أرمي فيه جسدي الكبير المتعب، لأنام قليلاً... بعد أن أخلع هذا اللباس الضيق، بطبيعة الحال.

اتجه سيد جلال إلى منزل أحد القادة العسكريين الأفغان الذي يدعى دويدار، صديقٌ لجلال، بل وبينهما شراكة مادية.

كان دويدار أحد قادة المجاهدين العسكريين، وهو عمل قائداً ميدانياً مع القائد الأفغاني صبغة الله مجددي، وانضم دويدار إلى طالبان، بعد دخولهم كابول العاصمة، وبات يقود إحدى الجبهات الطالبانية، في مواجهة قوات أحمد شاه مسعود، وتحديداً الجبهة التي تبعد بضعة كيلومترات عن كابول.

لم يطل وقوفنا أمام المنزل، فقد فتح لنا الحارس الباب مباشرة، وبعد دقائق خرج لنا رجل ضخم الجثة، طولاً وعرضاً، ذو لحية سوداء كثيفة، ووجه مستدير أبيض، فتفحص وجه جلال، وما كاد يعرفه حتى عانقه

بقوة، حتى خشيت عليه أن تختلف أضلاعه، ثم صافحنا، وأدخلنا إلى المنزل فوراً.

بُعيد دخولي المنزل، جلست قليلاً من باب المجاملة، ثم طلبت أن أغير ملابسي، وارتديت لباساً إفرنجياً.

قال لي جلال: هل زهدت بزيِّنا؟!

قلت له: زهد المقاس بي.

فضحك، وترجم الحديث لدويدار، فضحك حتى كاد يستلقي على قفاه.

اقترح جلال أن يعيرني دويدار من ملابسه، ما سيكون مناسباً لي وزياده، فرفضت.

قلتُ له: تكتظ هذه المدينة برجال المخابرات من كل حدب وصوب. وأريد أن يراني الناس باللبس الإفرنجي فيعلمون أني صحافي، موجود هنا لمهمة معلنة، لا لأغراض سرية.

فواصلا الضحك.

كانت الساعة تقترب من الرابعة فجراً، ولم يخطر ببال مضيفنا، أن ضيوفه على لحم بطونهم، حتى قال جلال لدويدار: إننا نكاد نسقط من الجوع، فاعتذر منا، وأحضر لنا تفاحاً وكيكاً.

أكلنا، ثم سقطنا كالمُخَدّرين، من أثر التعب، نياماً.

في الصباح، كانت مائدة الإفطار مليئة باللحوم والأطايب، ويبدو أن دويدار أراد أن يعوضنا عن جوع أمس بإفطار دسم جداً.

دويدار رجل لطيف، إلى درجة يصعب عليك أن تتخيله قائداً عسكرياً. فوجهه المستدير المشوب بحمرة، لا يتوقف عن التبسم، وإذا ضحك، وما أكثر ما يفعل، اهتزت لحيته الكثة، على إثر الضحكات التي تجلجل في جسده الضخم.

شخصيته المرحة يمكن أن تستشفها من خلال تعامله مع موظفيه وخدمه، وليست مقتصرة على ضيوفه، فتراه يمازح هذا، ويلاطف ذاك، ويرمي بنكتة هنا، وتعليق هناك.

كنتُ أطالب مع الضحكات التي تبقى في أثر دويدار، بالترجمة إلى العربية، حتى لا يفوتني الاستمتاع بتعليقاته وروح سخريته، وكنتُ أضحك حتى بعد توقف ضحك الأفغان، بالنظر إلى أن الترجمة لا تصلني إلا بعد أن ينتهي فاصلهم المحلي حديثاً وضحكاً.

تناولنا الإفطار، وغادرنا إلى وزارة الخارجية، بغية مقابلة الوزير.

obeikandi.com

وزارة الخارجية... الطالبانية!

obeikandl.com

obeikandl.com

وزير خارجية طالبان يفتتح حوار المؤلف معه بخطبة الحاجة:

- لم يعترفوا بنا؛ لأننا نُحكّم الشريعة.

- طالبان ليست حركة سُنيّة، بل هي إسلامية.

- إيران تدعم المعارضة الأفغانية الشيعية، ونحن رفضنا دعم أهل السنة في إيران.

- مستعدون للدفاع عن الأماكن المقدسة في السعودية بأرواحنا.

الزمـان: صباح الإثنين.

التاريـخ: ٢٠/١٠/١٩٩٨.

المكـــان: العاصمة الأفغانية، كابول.

الوجهة: وزارة الخارجية.

الهـدف: مقابلة وزير خارجية طالبان، ملا محمد حسن[١].

عزّز النهار انطباعاتي عن العاصمة الأفغانية، كابول، فقد بهرتني شوارعها الواسعة. ولم يكن من أثر للدمار في وسطها، حتى ظننتُ أنك لو نقلت شخصاً إلى وسط كابول، ثم سألته عن هذه المدينة، لقال لك: إنها مدينة لم تر حرباً قط.

١- ملا هي كلمة ذات أصل فارسي، ويشار بها إلى رجال الدين الكبار، وهي تعود للكلمة العربية «مولى» التي تشير للسيادة والولاية، فتعني كلمة ملا حين الإشارة بها إلى شخص أنه قائد أو معلم ديني كبير. كما يمكن الإشارة بها لشخص معين على سبيل التبجيل، والجمع ملالي. وهي تستخدم في إيران وتركيا ووسط آسيا بكثرة. يمكن مراجعة موسوعة ويكبيديا على شبكة الإنترنت على الرابط الآتي:

http://encyclopedia.thefreedictionary.com/Mulla

obeikandi.com

كانت هناك مجموعات من الفقراء، جُلُّهم من النساء والأطفال، يطوفون بالسيارات التي يرونها جديدة، أو يلمسون على أصحابها مستوى مادياً قد يكون مظنة لمنحهم بعض النقود.

قال لي جلال: لا يغرنك ما ترى. فَمِن ميزات أفغانستان، أنها وإن أصابها الفقر، فإن أحداً فيها لا يموت من الجوع، فالطعام على أقل القليل، متوافر لمن أراده. لكن توالي الحروب على هذا الشعب المسكين هي التي جعلت مظاهر السؤال والطلب تبدو ظاهرة للعيان. كان الناس يعوِّلون كثيراً على المجاهدين وقادتهم، فالشعب الأفغاني شعب مؤمن ومتدين، لكن المجاهدين خذلوه بفسادهم المالي. لقد نهبوا الثروات. هل تصدق أن الكثير من السيارات التي لدى المسؤولين عن مكاتب قادة المجاهدين، هي سيارات منهوبة!

ختم جلال حديثه بما اعتبره مُسلّمة طبيعية، فقال: لا يمكن أن ترى فساداً كهذا لدى طالبان!

استمعت إلى حديث سيد جلال، وواصلت تأملي في كابول، حتى شارفنا على دخول وزارة الخارجية.

الحي الواسع يبدو حياً للدوائر الحكومية والوزارات، والأفنية الممتدة داخل سور الوزارة، لا يمكن أن تُعطيك انطباعاً عما ستراه في الداخل.

يبدو مبنى وزارة الخارجية الأفغانية في كابول مُلوكياً، فخماً، جدرانه وأسقفه من رخام نادر ولافت، وتزين المبنى اللوحات الزيتية.

كنتُ قد دخلتُ – في إطار تغطية صحافية، مطلع العام ١٩٩٨– مبنى الخارجية الإيرانية في طهران، لكن هذا المبنى في كابول، يبُذُّ ذاك فخامة، وأناقة، وإبهاراً، مع أن إيران، دولة نفطية غنية، مستقرة، فيما أفغانستان، دولة أنهكتها الحروب منذ عقود.

توجهنا إلى أحد المكاتب وبقينا ننتظر، وكان كلُ من يدخل علينا، يُلقي السلام، ثم يَخرُج.

أحد الذين دخلوا علينا، كان طويل القامة، نحيل البدن، يرتدي الزي الأفغاني، والعمامة السوداء. سلّم علينا وصافحنا، ولما تحدّثَ، قلت له على الفور: أنت سعودي؟!

ابتسم، وأجاب بأن نصفه سعودي. استغربتُ الإجابة، وانتظرتُ المزيد.

اسمه عبداللطيف عبدالرحمن، وهو يتحدث العربية بلهجة أهل المدينة المنورة، كما لو كان مدنياً أباً عن جد.

ما لبث عبداللطيف أن شرح لي القصة، فوالده أفغاني، هاجر إلى السعودية، وُلد الابن في المدينة، وتعلّم حتى المرحلة الثانوية.

تأثر عبداللطيف بالصحوة الإسلامية في السعودية، ولمّا ظهرت طالبان، سافر إلى بلده الأم، أفغانستان، فوجد القوم متدينين، على الطريقة ذاتها التي اعتادها في السعودية، كما يقول.

زاد: لم أجد في شيوخ طالبان فرقاً عن شيوخنا الذين تعلمت لديهم في أروقة الحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة، ورأيتُ أن بلدي بحاجة إليّ

الآن، فقدمت إلى هنا منذ سنتين، وها أنا أعمل في وزارة الخارجية.

وبينما كان سيّد جلال يتحدث إلى أحد العاملين في مكتب الوزير، وأنا أتجاذب أطراف الحديث مع عبداللطيف عبدالرحمن، دخل رجل ستيني، لا يمكن أن تستبين من هيئته أنه وزير، ولولا أن من في المكتب وقفوا قفزاً، لما علمتُ أن هذا الرجل هو الوزير.

كان الوزير ملا محمد حسن، رجلاً متوسط الطول، ذا بشرة داكنة، ولحية كثة، يُخالطها شيء من بياض، وبدا أن أحد مرافقيه، ارتدى لباساً أكثر أناقة، وأطلق لحيته، لكنه حلق ما ظهر من شعر في وسط خديه، وهو ما لم يكن مألوفاً لدى من أراهم أمامي منذ دخولي البلاد.

تبين بعد ذلك، أن الرجل الأنيق، يدعى محمد قاسم عبدالحليم، وهو كان يعمل مديراً لإدارة التدقيق والمتابعة في وزارة الخارجية الأفغانية.

درس عبدالحليم في الجامع الأزهر في مصر، وهو يعمل في أوقات فراغه مذيعاً في إذاعة كابول العربية.

حدثني الأفغاني- المصري عن جهود يبذلها لتقريب وجهات النظر بين طالبان ومصر، وركّز في حديثه على تدَيّن عمرو موسى، وزير الخارجية المصري، آنذاك، مستدلاً على ذلك بما رآه في بيت موسى القاهري، عندما زارَهُ، من لوحات تحمل آيات قرآنية كريمة.

زاد: «ما لا يعلمه الكثيرون أن عمرو موسى ذو صوت جميل في قراءة القرآن، وهو عادة ما يؤم المصلين في وزارة الخارجية المصرية. وإذا اقرأ القرآن، لا تملكُ إلا أن تستمتع بقراءته الخاشعة، وتقول: ليته لا يسكت من جمال قراءته».

قال لي عبدالحليم: «في مصر سياسيون من الطراز الأول، يتقدمهم الرئيس (محمد حسني مبارك)، ووزير الخارجية عمرو موسى. الرئيس مبارك رجلٌ عملي، نشاطاته كبيرة، ويحب الخير لبلاده، وللدول الأخرى. أما موسى فهو سياسي محنّك، وهو رجل متدين، وهذا مؤشر جيد لإمكانية التعامل في الأيام القليلة المقبلة مع طالبان من قبل مصر، واعتراف القاهرة بنا».

أقام عبدالحليم في مصر سبع سنوات للدراسة الأزهرية الجامعية، وهو يتحدث العربية بلهجة مصرية، ويحمل عن مصر ذكريات جميلة، وأشار إلى أن في سكن مدينة الأزهر الجامعية في القاهرة ثلاثة آلاف طالب، بينهم مائة وخمسون أفغانياً، يدرسون الدكتوراه، والماجستير، والليسانس، ومنذ العام ١٩٩١ وحتى حديثه للمؤلف في العام ١٩٩٨، قال محمد قاسم عبدالحليم: «إن الأفغان يحققون النسبة الكبرى في جنسيات الطلاب الناجحين بين نظرائهم من الدول الأخرى».

صافحنا الوزير، وجلس حيث كنا نجلس، وأشار إلى أحد مرافقيه اللذين دخلا معه، فقرأ سورة العصر، ترتيلاً وتجويداً، ثم بدأ الوزير بالحديث، فحمد الله مورداً نص خطبة الحاجة كاملة: «إنِ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾، ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ**

رَقِيباً﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ـ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[1].

ثم دعا الوزيرُ اللّه، أن يوصلنا إلى مقاصدنا.

كنتُ أعمل في التغطيات السياسية لبضع سنوات خلت، ولم أرَ في حياتي وزير خارجية يبدأ حديثه كما يبدأ الأئمة والمُحدثون وعلماء الدين أحاديثهم وخطبهم وكلماتهم، لكن هذا مؤشر مهم لقراءة الحالة الطالبانية.

بعد ذلك، شكَرنا الوزير على جهودنا للقدوم إلى كابول، وتجشم عناء السفر، وقبل أن أسأله سؤالاً واحداً، ودون أن يتوقف عن الحديث منذ بدأ، وجدتُه يتحدث عن علاقات طالبان مع السعودية، والموقف من أسامة ابن لادن، الذي كان على الأراضي الطالبانية، حينها.

ربما أدرك الوزير بحدسه، أن صحافياً سعودياً أمامه، يعني ضرورة الحديث في الموضوع السعودي، لا سيما بعد أن كانت السعودية قد أعلنت قبل أسابيع سحبها القائم بالأعمال السعودي في كابول، ومطالبتها السفير الأفغاني بمغادرة الرياض فوراً.

فأكد الوزير أن الرياض لم تطلب من طالبان تسليمها أسامة بن لادن. وقال: إن بلاده لو كانت لديها نية لمعاداة إيران لوافقت على طلب السنة في إيران مساعدة طالبان لهم، وهو ما رفضته الحركة.

كان ملا محمد حسن، يتحدث بثقة مطلقة، وبيقينية منقطعة النظير، ولم يكن يتحدث عن ربط القرار بملا محمد عمر، أمير المؤمنين، وقائد طالبان، كما كان كل من نتحدث معه من أنصار الحركة.

كان كل من يشرح لنا الوضع العسكري، مثلاً، في سياق تأكيداته، أن طالبان توشك أن تسيطر على ما تبقى من الأراضي الأفغانية، يُعقّب بالقول: نحن بانتظار توجيهات أمير المؤمنين، لمحاصرة بنجشير من كل الجهات.

كانت معارك ضارية، دارت قبيل دخولي وزارة الخارجية بساعات، في منطقة طالقان، أسفرت عن سيطرة طالبان على كل المدينة، بما فيها المطار.

تراجع أنصار مسعود آنذاك، فخرجوا من تخار إلى بدخشان، التلة المطلة على وادي بنجشير، حتى بات باستطاعتهم أن يقصفوا بنجشير مباشرة. قال لي أحد القادة العسكريين لدى طالبان: لدينا نية لمهاجمة عدونا من ثلاث جهات:

١. غورباند، مدينة ريكارك.
٢. التقدم من جهة نجراب، لنغلق عليهم جسر صياد. نحن الآن في غوربان، وسنغلق الطريق التي تصل شاريكار و بنجشير، لقطع الإمدادات عنهم.
٣. نجراب، باقرام. وبخاصة ونحن نسيطر على اندراب، الممتلئة بالألغام. باتت خمس قرى في بدخشان، تؤيد طالبان. لقد أرسلوا لنا خطابات يؤكدون لنا ذلك.

زاد القائد: الأمور في يد أمير المؤمنين (ملا محمد عمر)، إذا وافق وأعطانا أوامره للهجوم، فلن تحتاج المنطقة أكثر من أسبوعين لتسقط في أيدينا.

كانت الأحاديث والإشاعات تتكاثر عن قيادة ملا محمد عمر المركزية لشؤون الحكم في بلاده، من مقر إقامته في قندهار، قاعدة البشتون الرئيسة.

لقد ظهرت أحاديث عن تحجيم ملا عمر لرئيس مجلس الشورى ملا رباني، وعزله بعض القادة الذين يتخذون قرارات من عندياتهم، دون إشارات من القيادة في قندهار.

بدا واضحاً أن بعض تصريحات الوزير لي، كانت تتناقض مع تصريحات أدلى بها ملا محمد عمر، بشأن طلب سعودي تسليم ابن لادن، وتأكيد من أمير طالبان، أنهم لن يرضخوا للطلب السعودي.

كان ابن لادن متهماً حينها بالوقوف خلف تفجير سفارتي الولايات المتحدة، في نيروبي ودار السلام في العام ١٩٩٨، الذي أدى إلى سقوط ٢٢٤ قتيلاً، بالإضافة إلى اتهام السعودية له بالضلوع في تفجير العليا في الرياض في أواخر العام ١٩٩٥، طبقاً لاعترافات منفذي التفجير، التي بثها التلفاز السعودي، آنذاك.

في إطار ليس بعيداً، لم يكن رأي وزير الخارجية الطالباني، بشأن عدم اعتراف دول العالم بطالبان، بعيداً عن آراء آحاد المنتسبين للحركة، فيما يبدو أنه رأي جمعي لدى طالبان كلها، فالوزير حسن، قال لي: إن سبب

عدم اعتراف الدول غير الإسلامية بطالبان حكومةً شرعية لأفغانستان، هو «تحكيم طالبان للشريعة»، وأضاف: «إنهم يجعلون من موضوع ابن لادن عذراً»، مستغربا عدم إثارة الموضوع في عهد حكومة برهان الدين رباني، على الرغم من أن ابن لادن كان يقيم في أفغانستان آنذاك.

وتابع ملا محمد حسن: «قابلتُ عدداً من المرات، القائم بالأعمال السعودي، سلمان العمري (وصفه الوزير بأنه السفير السعودي، وليس القائم بالأعمال كما هو منصبه، حيث لم تعين السعودية سفيراً حينها) وقلت للعمري: نحن نحترم الشعب السعودي والحكومة السعودية، كما إننا حريصون جدا على علاقات جيدة مع السعودية، وأبلغته أن أي مسلم لا بد أن يحترم السعودية، لارتباطه بالمقدسات الإسلامية، وأكدت له أننا لا نسمح بأن تكون أراضينا منطلقا للإساءة إلى السعودية».

حاول الوزير الأفغاني، أن يشرح سبب احترام السعودية، فقال: «نحن لا نحترم الشعب السعودي، لأنه شعب فقط، بل لأنه شعب يعيش بين الأماكن المقدسة. المقدسات تعني لنا الكثير، ونحن مستعدون أن نقدم أرواحنا للدفاع عن المقدسات في السعودية».

وزاد: «أبلغت القائم بالأعمال السعودي أنني قرأت أكثر من عشر مرات في الصحف من يقول: إننا وعدنا المسؤولين السعوديين بتسليم ابن لادن، وهذا ليس صحيحا. أكدنا للمملكة أننا لن نسمح لأحد باستخدام أراضينا للنيل من السعودية. نحن مستعدون للشهادة دفاعاً عن السعودية، فكيف نسمح لأحد أن يضر السعودية أو مصالحها من أراضينا؟».

واستغرب عدم إثارة موضوع ابن لادن في عهد حكومة برهاني الدين رباني، مشيراً إلى أن ابن لادن، كان يقيم في أفغانستان، آنذاك، وكان

obeikandi.com

حراً طليقاً، ولم تُفرض عليه قيود، وعندما وصلنا إلى السلطة منعناه من الإدلاء بتصريحات، وقيّدنا تحركاته. رغم ذلك لم يطمئن أحد إلينا، فماذا نفعل؟!».

وتابع وزير خارجية طالبان: «العالم الإسلامي كان يريد السلام في أفغانستان، ونحن جئنا بالسلام وحققنا الأمن، وأعطينا الناس حقوقهم، وطبّقنا الشريعة، ومع ذلك لم يُعترف بنا. نحن لا نلوم الدول غير الإسلامية إذا لم تعترف بنا، لكننا نلوم الدول الإسلامية».

وعن علاقات بلاده بالسعودية بعد قرار الأخيرة «تجميد» العلاقات مع حكومة طالبان قال: «لم نكن ننتظر هذا الموقف من السعودية، فهي شقيقتنا الكبرى التي تدعم قضايا العالم الإسلامي. ونتمنى أن يزول سوء الفهم بيننا وبين الرياض، وسنحاول أن نُقرّب وجهات النظر عبر الحوار».

وأشار الوزير ملا حسن، إلى أن طالبان سترسل وفداً إلى السعودية «لإزالة سوء التفاهم، وتقريب وجهات النظر»، مستدركاً أن «مواضيع النقاش أو موعده لم تحدد بعد». (لم يصل هذا الوفد إلى السعودية حتى نشر هذه السطور).

لكن النزاع الإيراني مع طالبان، كان يحظى باهتمام منظمة المؤتمر الإسلامي، كما تردد في الأنباء حينها، فلما سألت الوزير عن الوساطة التي تزمع المنظمة القيام بها، بينهم وبين طهران، قال ملا محمد حسن: «نؤمن بأن المشاكل تحل بالحوار، ولم يُحدد حتى الآن موعد المفاوضات».

وبمناسبة الحديث عن إيران الشيعية، وطالبان السُنّية، سألتُه: هل

obeikandl.com

تعادي طالبان إيران لأنها شيعية؟ فأجاب: «في الحركة لنا هدف واحد؛ هو إصلاح الفساد، لا فرق بين سني أو شيعي أو طاجيكي[٣] أو قندهاري ٢٠ نقطة أو بشتوني[٤]. وعلى الرغم من أن إيران تدعم المعارضة (في أفغانستان) مالياً وعسكرياً، لم نقم بمثل ذلك العمل، ولم نُفَكِر في أن نُحاربها، وجاءنا أهل السُّنة والجماعة في إيران، يطلبون دعمنا، فرفضنا تقديم الدعم لهم. لو كُنّا نُريد العمل ضد إيران لفعلنا ذلك ومن داخل إيران».

قلتُ للوزير: إن أبرز المآخذ على طالبان، تفريقهم بين السنة والشيعة، وممارستهم العنف ضد الشيعة، في باميان تحديداً وفي غيرها، فرد: «أعدمنا كثيرين من القتلة السُّنة وبعضهم من قندهار، وعاقبنا آخرين، مع أنهم ليسوا شيعة. تأكد بأن طالبان، ليست حركة سُنية، بل حركة إسلامية تعمل لإصلاح البلاد وإنهاء الفساد».

obeikandi.com

obeikandl.com

١- في مسند أحمد (٣٥٣٦)، وسنن الترمذي (١٠٢٣)، وسنن النسائي (١٣٨٧)، وسنن أبي داود (١٨٠٩) عن ابن مسعود: علّمنا النبي صلى الله عليه وسلم خطبة الحاجة، وذكرها. وعند أحمد بعد أن ذكرها، ثم تذكر حاجتك.

٢- نسبة إلى الطاجيك، وهم مجموعة عرقية، من المجموعات العرقية الرئيسة في وسط آسيا، و تتواجد بشكل رئيس في: أفغانستان، وطاجيكستان، وباكستان، وأوزبكستان، وإيران، والصين. يتحدث الطاجيك أساساً اللغة الفارسية، ويُنسب إليهم الفيلسوف ابن سينا والمحدث البخاري وغيرهما. أما في أفغانستان، فأبرز الشخصيات الطاجيكية أحمد شاه مسعود.

٣- نسبة إلى مدينة قندهار وسط أفغانستان، معقل حركة طالبان، وموطن البشتون الأفغان، الذين كانوا يشكلون الأغلبية الساحقة، من طالبان. وكان الوزير يُلمح إلى أحد المآخذ على الحركة، وهو أنها كانت متعصبة لأهالي قندهار تحديداً.

٤- البشتون هي المجموعة العرقية الأكبر في أفغانستان، وفي شمال غرب باكستان، وتنتسب البشتون في الأصل لجذور شرق إيرانية حسب أرجح الآراء، وللبشتون لغتهم المتميزة ذات الجذور الهندو أوربية وتعرف بلغة البشتو، ولهم ممارسات وعادات خاصة مدونة في كتاب يعرف بالبشتونالي، أو الحفاظ على السنن البشتونية، ومعظم البشتون من المسلمين وعلى مذهب السنة ولكن توجد أقلية شيعية، كما ينتمي إلى البشتون مجموعة صغيرة من اليهود تقدر بألف فرد، هاجرت إلى إسرائيل مؤخرا. لعب البشتون فى أفغانستان دوراً مهماً في تاريخ أفغانستان وقد أحرز البشتون شهرة عالمية عقب الاجتياح السوفياتي لأفغانستان فى ١٩٧٩ مع ظهور وسقوط حركة طالبان نظراً لكونها نهضة بشتونية. يشكل البشتون جالية عظمى فى باكستان، أي ثاني أكبر مجموعة عرقية و يمثلون نسبة كبيرة فى الحكومة. يشكل البشتون أكبر مجموعة عرقية و بطريركية فى العالم، حيث يقدر

obeikandl.com

عددهم الإجمالى بـ ٤٠ مليون نسمة، لكن نظراً لعدم توافر إحصائيات رسمية ومحددة منذ ١٩٧٩ فى أفغانستان، يستحيل انتظار الأرقام. يدور النقاش عن وجود حوالى ٦٠ قبيلة بشتونية و أكثر من ٤٠٠ عشيرة. ويعتقد الكثير من عوام البشتونيين أنهم ينتسبون للصحابي الجليل خالد بن الوليد، بينما يحرص الشيعة منهم على تنسيب أنفسهم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

obeikandl.com

الطريق إلى... بنجشير

obeikandl.com

obeikandl.com

الزمـان: ظهر الإثنين.
التاريخ: ٢٠/١٠/١٩٩٨.
المكـــان: العاصمة الأفغانية، كابول.
الوجهة: خط المواجهة، بين طالبان وتحالف الشمال... في الطريق إلى بنجشير.
مشاهدات في وادي بنجشير، معقل شاه مسعود:

- جبال تتفجر زمردا موّل المجهود الحربي ضد السوفيات.
- العيادات في حاويات... والحياة بسيطة بلا كهرباء...
- مقاتلو سيّاف أثرياء... ومقاتلو مسعود يقاتلون من أجل الولاء لا المال.

بعد انتهاء الحوار مع وزير خارجية طالبان، ملا محمد حسن، في مقر وزارة الخارجية الأفغانية في كابول، بقي جلال مع الوزير في جلسة مغلقة للتنسيق لإطلاق متبادل للأسرى بين طالبان وقوات مسعود.

استغرقت الجلسة المغلقة نحوا من ساعة كاملة، غادرنا بعدها إلى الجبهة الطالبانية المسعودية.

لم تكن الجبهة تبعد عن العاصمة كابول، أكثر من ربع ساعة. حتى إن أهالي كابول، يستمعون إلى أصوات تبادل القصف، ويرون وميض الانفجارات.

obeikandl.com

لم تكن الظهيرة قد حلّت، حتى كُنا نواي القائد دويدار، في الجبهة.

سألني دويدار: أرجو أن تكون خرجت من لقاء وزير خارجيتنا بما تشتهي، وابتسم كعادته.

قلتُ له: خرجت بما يمكن الخروج به على الأقل.

بعد ذلك، توقفنا عند غرفتين بنيتا بطوبٍ متواضع، كانتا مقر استراحة للقوات المقاتلة التابعة لطالبان. صلينا معهم الظهر والعصر جمعاً وقصراً، نحن لأننا مسافرون، وهم لأنهم مقاتلون، يجمعون ويقصرون بداعي القتال، وإن كان قتال أفغان مسلمين أيضاً.

بعد الصلاة التي أمّنا فيها رجل بدا من احترام المقاتلين له أنه قائد ميداني، مع أنه كان يستخدم عكازين، للتغلب على إعاقته التي أصيب بها أيام الجهاد الأولى.

التف المقاتلون الذين كان عددهم يقارب العشرين رجلاً، إلى مائدتين دعونا إليهما لتناول طعام الغداء.

كانت المائدة متواضعة، فهي شملت إيدام البطاطا، وخبزاً أفغانياً... إضافة إلى آنية كبيرة بها بعض اللبن، وكان الوصول إليه، بواسطة ملعقة كبيرة، لها نهاية للشرب، وكان الجميع يتناولون اللبن شرباً من الملعقة ذاتها، بأريحية وبساطة، وبدا الجميع مسرورين بمائدتهم، مستمتعين بها رغم تواضعها.

بعد دقائق من تناول الطعام، أحسستُ بجلبة في الخارج، وبينما كان الموجودون حريصين على استخدام اللغة البشتونية، والتخاطب فيما بينهم

obeikandl.com

بما يبدو شيئاً من القلق، علمتُ بعدها أن سيارة تضم مقاتلين سعوديين مع طالبان، مرّت بالمركز الذي كُنّا فيه للتزود بالوقود، وأن العناصر الموجودة معنا، حرصت على أن يمضي الشباب السعوديون، دون أن يُحس الصحافي السعودي، العبدُ الفقير إلى الله، بوجودهم الذي قد يسبب قلقاً لا داعي لإثارته.

تركنا مركز مقاتلي طالبان، وانتقلنا إلى خط المواجهة الأمامي.

قال جلال لدويدار: إننا سنقطع خط النار، من أجل أن أقابل مسعود ورفاقه، وكي يرتب هو لوساطته للإفراج عن الأسرى.

لم يُرحّب دويدار بفكرة انتقالي إلى الطرف الآخر عبر خط المواجهة. قال لي: أنت ضيفنا، ومن واجبك علينا أن نُكرمك ونوفر لك سبل الراحة. الجبهة خطرة، ولا أنصحك بالذهاب. لماذا لا تبقى عندنا في كابول، حتى يعود جلال في المساء، أو حتى غداً على أقصى تقدير؟!

قلتُ له ولجلال الذي كان يقوم بأدوار الترجمة: لم أقطع كل هذه المسافة، لأبقى في كابول!

جئت لهذه الغاية، وآمل ألا تثنوني عنها.

رد دويدرا على الفور: على العكس. نحن نريد أن نقوم بواجب الضيافة على الوجه الأكمل. والأمر لك. قلتُ لك رأيي، ولك ما تشاء.

شكرته، وأكدت على رأيي السابق.

بدأنا بالاستعداد لقطع خط النار؛ بغية الوصول إلى الضفة الأخرى، الطريق تقارب كيلومترين، وبدأ دويدار ومساعدوه يشرحون لنا أن علينا

السير في خطوات ثابتة على طريق واحدة؛ خشية أن نطأ لغماً يجعل نهاية حياتنا في هذه الأرض!

بدت القصة أكثر جدية الآن، وبخاصة وأنا أستمع بين لحظة وأخرى، إلى أصوات تبادل إطلاق النار بين الفريقين.

كرر دويدار تعليماته. ضعوا أقدامكم في الموضع نفسه الذي تطؤه أقدام الرجل الذي سيقودكم. امشوا بثبات وتؤدة، واستعينوا بالله، وهو لكم حافظ.

بدأنا في المسير، الدليل، فجلال، ثم أنا. وجدتُ الدليل رجلاً نحيلاً، ذا قدمين صغيرتين، وجلال يكبره في مقاس الرجل، لكني بيني وبينهما ما يقارب أربع درجات في مقاس الرجل، وهذا يعني أن احتمالات أن يضع الرجلان قدميهما في مكان آمن، فأتابعهما وأضع قدمي على موضع قدميهما، لكن زياداتي قد تخرجني من أمن تقدمهما علي.

تذكرتُ من جديد، في أثناء السيرِ، تحذيرات دويدار، وتفضيله بقائي في كابول، على المضي في وسط الجبهة عارياً من التحصينات، في مرمى نيران الفرقاء الأفغان.

كان الرجلان، يحثان السير، في خطى متسارعة، بالنظر إلى جسميهما، وكنت رجلاً ثقيل الوزن، بطيء الخطى، وبخاصة وأنا أحمل حقيبة فيها جهاز كمبيوتر محمول، وحقيبة كاميرا، لم يتسن لي استخدامها في مناطق طالبان، بالنظر إلى تحريمهم التصوير، وبخاصة تصوير ذوات الأرواح، وهو الأمر الذي قد يجُرُ إشكاليات لا داعي لها.

كلما تباعدت المسافة بيني وبين جلال، حاولت الإسراع بالمشي، بيد أن حرصي على متابعة مواطئ أقدامهما، يؤخرني.

كان أزيز الرصاص، غير بعيد عنّا. لقد طلب دويدار من خصومه أن يتوقفوا عن إطلاق النار، بغية انتقال وسيط لتبادل الأسرى، وصحافي يريد أن يغطي النزاع من وجهتي نظر الفرقاء، فأعلن الطرف الآخر أنه سيلتزم بذلك، لكن أصوات النيران ووميض المدفعية، لم يتوقف...

كنتُ أصارع في داخلي رغبتين تتنازعان أيما نزاع، إحداهما الدافع المهني الذي يحثني على المضي قدماً لتحقيق عمل مهني جيد، والدافع الإنساني، وغريزة البقاء، فقد كان يطوف في ذهني أن رصاصة طائشة قد تستقر في جسدي، ستجعل نهايتي في هذه البلاد التي أدمنت الحرب، وسينشر خبر صغير في صفحة داخلية عن مصرع صحافي سعودي في أفغانستان!

كيف يمكن لهذا الخبر أن يعوّض ابني الأكبر الذي يبلغ آنذاك بالكاد عامين اثنين، هو وأمه، بل كيف سيتعاطى والديّ مع هذا الخبر، وبخاصة والدتي التي كانت وافقتني على الذهاب إلى أفغانستان مجاهداً قبل عقدين من الزمان؟!

وبينما كانت الهواجس تعصف بي، وحرصي على متابعة السير على خطى المتقدمين، وخوف الرصاص المتطاير، وتبادل إطلاق النار، لم أعِ إلا ونحن نوشك على بلوغ الطرف الآخر من الجبهة، حيث تحالف الشمال...

عندما وضعتُ قدميّ داخل أراضي مسعود، قابلت في البداية قائد خط المواجهة الأمامي، وكان رجلا في العقد الخامس من عمره، وهو ضابط سابق في جيش نجيب الله، اسمه عبدالخالق باينجار.

أول ما تلحظه في عبدالخالق أنه مُدخنٌ شره، ففي الدقائق العشر التي أقلَّنا فيها بسيارته، التهم ما يزيد على خمس سجائر.

كان أشبه ما يكون بمن يشعل السيجارة من عقب شقيقتها، قبل أن يطفئ الأولى!

احتفى بنا عبدالخالق، وأقلنا في سيارة بيك أب (سيارة نقل بأربعة أبواب ومقعدين)، وجلس في المقعد الأمامي، ثم انحنى بوجهه باتجاه المقعد الخلفي، حيث فتح لنا السائق الباب لنتخذ أماكننا، أنا وسيد جلال.

استقل السائق الذي كان يرتدي بذلة عسكرية، السيارة، بعد أن أشار إليه قائده عبدالخالق، أن امض.

قال لي عبدالخالق: إن رتبته كانت فريقا أول في جيش نجيب الله، وإنه كان قائدا للفرقة ٥٥ في مطار تخار آنذاك. كان الرجل يتحدث بفخر عن ماضٍ عسكري بذل من أجله الكثير، ولم يذق طعم بذله كثيراً. بعض أعوان مسعود كانوا يقولون لي: إن عبدالخالق «شيوعي»، وهم بطبيعة الحال، كانوا يدلون بالمعلومة بصوت خفيض، وكأنهم يرددون سراً، أو يتعاطون مع فضيحة، لا يريدون لها أن تشيع!

لم يكن بعض العاملين مع مسعود من المتدينين مرتاحين لأن يكون أحد قادتهم الميدانيين شيوعياً، وهم الذين قاتلوا نجيب الله، لكنهم كانوا يدركون ضرورة التحالفات، وهو ما شربوه من منهج زعيمهم الأول مسعود، لا سيما في زمن الضعف، كما أنهم يأتمرون بأمر قادتهم ورؤسائهم، و«القادة يحددون السياسات، ونحن ننفذ»، كما كانوا يقولون لي.

لا يوجدُ فرقٌ ملحوظٌ في أعمار المقاتلين بين صفوف طالبان أو صفوف مسعود. واللافت أن أعدادا كبيرة من حملة السلاح تراوح أعمارهم بين ١٦ و٢٥ سنة. والدعابات محور أحاديثهم، ما لا يعطي انطباعا أنهم على خط النار. وربما كان إدمان الحرب والقتال سببا في ذلك.

عندما يصبح ضمن مهام عملك اليومي، أن تدير معركة، وأنت تَنضَم إلى جيش يواجه جيشاً، وإن لم تكن النزالات العسكرية أمراً يومياً، فإن إدمان الحرب سيفرز لديك ثقافة تبدو لغيرك أمراً غريباً وعجيباً.

obeikandl.com

obeikandl.com

حوار الإخوة - الأعداء!

obeikandl.com

obeikandl.com

كان إطلاق النار على أشده عندما عبرتُ خط المواجهة، بين الفرقاء، من صفوف طالبان إلى صفوف مسعود، ولم تكن المسافة بين الصفين تتجاوز كيلومترا واحدا. حين الوصول إلى معسكر مسعود، كان عبدالخالق يقول: إن له أصدقاء في الطرف الآخر، طالبان، وهم يتحدثون أحيانا عبر جهاز اللاسلكي ويتبادلون عبارات أخوية، ثم يختمون حديثهم بتوجيه المدفعية ضد بعضهم!

عندما يكون القتالُ وظيفتك اليومية، فإن حالاً كالتي شرحها عبدالخالق، لا تكون غريبة، فجمل المزاح الأخوية، تنتهي بإطلاق نار المدفعية، على من كنت تمازحهم!

obeikandl.com

في السياقات ذاتها، قال لي القائد عبدالخالق: إن قائداً تابعا لمسعود اسمه زالمي له أخوان في صفوف طالبان، وهم يتواجهون يوميا، لكن بالقتال والمدافع.

وكنتُ شهدتُ في الطرف الآخر، حوارا عبر اللاسلكي بين رجلين من الفريقين.

كان دويدار القائد العسكري في «طالبان»، يضحك على الحوار، وهذه ترجمة جزء منه:

- **هل أنت مسلم؟**

– أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، هل يكفي هذا لتقبلني مسلما؟

- **لكن تصرفاتك لا تدل على ذلك؟**

– أنتم لا تعلمون من نحن، لقد أعلنتم الجهاد على أحمد شاه مسعود، وأنتم لا تعرفون من هو مسعود ومن هم الذين معه.

ثم تحول الحوار إلى سباب ...

وسألتُ قائد خط المواجهة لدى مسعود، عبدالخالق: هل يفرح هو ورفاقه إذا أوقعوا خسائر في صفوف عدوهم؟ فقال: «نحن مجبرون على ذلك. وإلا لا أحد يحب أن يقتل أخاه المسلم». واستشهد على ذلك بقوله: «أسرنا ذات مرة مولويا في صفوف طالبان، وأخذ أحد عناصرنا ساعته عنوة، فلما رأيتُ ذلك، نهرته وضربته، وأعدت الساعة إلى صاحبها، وبادلناه بخمسين أسيرا».

obeikandi.com

الملاحظ في صفوف مسعود أن كثيراً من مقاتليه يرتدون بزات عسكرية وهو ما لا يراه المرء في صفوف طالبان. ويتبين أن هؤلاء بقايا الجيش النظامي لحكومة الرئيس المخلوع برهان الدين رباني التي كان مسعود وزيرا للدفاع فيها.

وبعد قليل وصلتُ إلى دار في مدينة شاريكار، عاصمة ولاية باروان. كان في انتظارنا مساعد مسعود، وهو أحد أبرز قادته المقاتلين وأشدهم قوة، كما سمعنا عنه. كان اسمه باسم اللّٰه خان. شخصيته عكس شهرته، فهو رجل لطيف جدا هادئ الطباع. قال لي: إنه درس العربية وكان يتحدثها بطلاقة، لكنه نسي كثيرا منها؛ لأنه لم يستخدمها منذ ٢٠ عاما.

obeikandi.com

obeikandl.com

القائد الشرس... والرجل الوديع!

obeikandl.com

obeikandl.com

تعلم باسم الله خان العربية في مدرسة أبي حنيفة النعمان في كابول العاصمة، وكانت هذه المدرسة مختصة في تدريس العلوم الدينية، وكان كثير من مدرسيها عربا، من السعودية، ومصر وغيرهما. وعندما جاءت حكومة تراقي الشيوعية إلى الحكم، أغلقت المدرسة التي انتقلت إلى بيشاور في باكستان.

وقال باسم الله خان: إنه لا يزال يذكر أستاذه السعودي، الذي لم يتذكر إلا اسمه الأول، عبدالعزيز، وكان يدرسهم الفقه، وكان عالماً، حسب قول القائد الأفغاني. ويتذكر باسم الله مدرسا مصريا سأله مرة، ما معنى أن يكون اسمه كذلك؟ فأجاب «سماني به والدي»، فأطرق المدرس، ثم قال:

obeikandl.com

إذا رُزِقتَ ولداً في المستقبل فسَمِّه «الرحمن الرحيم» حتى تكتمل البسملة!

كان الرجل مستمتعاً بضيافتنا، وكأنه يتعامل مع أناسٍ يحظون بكامل تقديره، كما لو كانوا أصدقاء، فرّقتهم الأيام والليالي، مما جعلني أحسبه خصّنا برعاية لا يمنحها لكل صحافي يتعاطى معه. وإن كان من الواضح أن لطف الرجل الغامر، الذي يبدو على ملامح وجهه، يخُصُّ به كل من يصادفه، فكيف بمن يقصده قصداً؟!

كنتُ مستمتعاً بحديث الذكريات، الذي يُعيدُ باسم الله خان عقوداً إلى الوراء، ولذلك فقد كنتُ أحاول أن أجد فرصة لأنفذ منها إلى توجيه جملة من الأسئلة إلى الرجل، وبخاصة وهو أول مسؤول أقابلُهُ في الضفة الأخرى من أرض النزاع، أرض أفغانستان، وتحديداً ضفة القائد، أحمد شاه مسعود.

كان وجه خان مريحاً، وقسماته هادئة، ولو رأيتَه في شارع أو متجر، لما خِلتهُ إلا معلماً أو أمين مكتبة، أو حتى صيدلانياً.

أما أن يكون مقاتلاً، وشرساً أيضاً... أنا متأكد أنك لن تتصور هذا له، فكيف بقائد على الجبهة الرئيسة، المواجهة للعدو؟!

وبين الذكريات المنسابة بهدوء، وخجلٍ أحياناً، وبين عبارات الترحيب والضيافة، وتقديم المشروبات، والمأكولات لنا، كان الوقت يمضي...

حتى اقتنصتُ فرصة لأطرح على الرجل أسئلتي، فهَشّ وبشّ ورحّب، كل ذلك والابتسامةُ، ووجهه المريح، صنوانٍ لا يفترقان...

طلبت من باسم الله خان الإجابة عن بضعة أسئلة، فلم يتردد:

- **ماذا تريدون من طالبان؟**
- نريد منهم طرد الأجانب الباكستانيين في صفوفهم إلى خارج البلاد، وأن ينظروا إلى القوميات المتعددة في أفغانستان بعين المساواة .
- **لكنكم أنتم تحصلون على دعم من دول أجنبية، مثل إيران وطاجيكستان والهند؟**
- (ابتسم بهدوء، بعد أن أثارَ السؤالُ استفزاز عينيه الهادئتين، وقال: هذا صحيح، هم يدعموننا لكننا نحن الذين نقاتل، ثم إن دعمهم يتمثل بالسلاح فقط. نحن ندفع الأموال؛ لنشتري منهم السلاح، كما أنهم يقدمون لنا دعما لوجستيا) .
- **ومن أين لكم الأموال؟**
- لا تنس أن مصارف أفغانستان كلها في يدنا. ما زلنا نحن الدولة المعترف بها عالميا. والمصارف الأفغانية في أيدينا. وما يغطي النقد الأفغاني تحت تصرفنا.
- **هل يقاتل مسعود عن نفسه، أم عن برهان الدين رباني؟**
- رباني هو رئيس الحزب ورئيس الدولة. ومسعود وزير الدفاع. وهو بالتأكيد تحت قيادته.
- **لكن جميع معارضي طالبان خارج أفغانستان الآن، ولم يبق إلا أنتم!**
- (أجاب فوراً، بكلمات لا تنقصها المرارة والحرقة) : نحن لأننا في خط المواجهة الأول نعتبر كل الذين خرجوا من أفغانستان أعداء لنا.
- **بمن فيهم رباني، الذي يقضي معظم وقته خارج أفغانستان، وتحديداً في إيران، هذه الأيام؟!**
- (ابتسم وأطرق قليلاً، ثم قال:) رباني هو زعيمنا .
- **إلى متى تتوقعون أن يستمر القتال في أفغانستان؟**

obeikandl.com

- حتى يتنازل زعماء طالبان عن غرورهم ويقبلوا الجلوس إلى طاولة المفاوضات، ويشكلوا حكومة موسعة.

- **طالبان تحقق انتصارات متواصلة، وإذا قُدِّر لها أن تسيطر على مناطقكم داخل أفغانستان، فماذا ستفعلون؟**

- سنحاول أن نقاتل من داخل بلادنا قدر استطاعتنا. وإن لم نستطع فسنأخذ قواعدنا وأسلحتنا إلى دول مجاورة؛ لنقاتل منها ومن الحدود. وكما أعطتنا باكستان موقعا من أراضيها وواجهنا الروس، سيحدث الشيء نفسه.

- **ما هي هذه الدول؟**

- كل الدول التي تُعادي طالبان، وهي معروفة.

- **قلت لي قبل الحوار: إن في صفوف طالبان من كان صديقا لكم، وكان معكم أيام الجهاد ضد الروس. لماذا انضموا إلى طالبان برأيك؟ أقصد كيف أصبح أصدقاء الأمس، فجأة، أعداء اليوم؟!**

- لكل شخص فكره وذوقه وتفكيره ومزاجه، وإن ذلك بطبيعة الحال، يقود صاحبه إلى اختيار الفريق الذي ينحازُ إليه.

أنصار ابن لادن (٢)

- **أليس في صفوفكم الآن مقاتلون عرب؟**

- كان العرب يقاتلون معنا أيام الجهاد (ضد الروس)، أما الآن فلا يقاتل معنا إلا الأفغان.

العرب يقاتلون ضدنا مع «طالبان». معهم يمنيون وجزائريون وفلسطينيون وسعوديون، أكثرهم أنصار أسامة بن لادن.

- **وهل يقاتل ابن لادن مع «طالبان» ضدكم؟**

- إذا كان أنصاره يقاتلون ضدنا، فهو بالتأكيد يقاتل ضدنا. قبل أيام، هجمنا على ثلاثة مراكز للعرب. ووجدنا آثارهم بعد أن قُتلوا في المعركة، ولدينا أوراقهم الثبوتية. إنهم أنصار لابن لادن. ووجدنا في مراكزهم أسلحة لم نجدها في مراكز طالبان التي سيطرنا عليها. هذا يعني أن لديهم قيادة مُستقلة، وإن انضموا إلى صفوف طالبان من حيث الإجمال.

أعداؤنا يقولون: إن معنا إيرانيين وطاجيكستانيين، لكنهم لا يستطيعون إثبات ذلك. إنني أتحدى أحداً أن يثبت أن في صفوفنا من ليس أفغانياً.

- **كيف تقوِّم قدرات «طالبان» القتالية؟**

- لو لم يكن الجيش الباكستاني معهم، فلن يحققوا انتصاراً، أنا واثق من أنهم لا يفهمون فنون الحرب.

obeikandi.com

obeikandl.com

١- يذكر أن مختلف الفصائل الأفغانية بما فيها طالبان، لم تكن ترفض التعاون والتحالف مع أي أحد ضد أعدائها، فقد انشق الجنرال عبد الملك وهو شيوعي سابق عن الجنرال دوستم وانضم إلى طالبان، وساعدها في فتح مزار شريف وعدد من الولايات في ٢٥ مايو (آيار) ١٩٩٧، ولكن بعد يومين فقط اختلف معهم، ونشب قتال بين قواته وطالبان، وهو ما أسفر عن مقتل وأسر آلاف العناصر من طالبان، كان بينهم بعض كبار القيادات والقبائل. إنه منطق الحرب والمصالح والتكتلات المتقلبة!

٢- يذكر أن المقاتلين العرب بجوار طالبان من أتباع ابن لادن كانوا يتحفظون على بعض أمور العقيدة لدى طالبان، وخاصة أنهم ماتريدية العقيدة حنفية الفقه صوفية الطريقة، فجل أعضاء الحركة أتوا من صفوف الطريقتين النقشبندية والقادرية، وكانت عندهم سلوكيات قبورية، ولكن على الرغم من ذلك روجوا أنها دولة الإسلام التي تجب نصرتها في كل الأحوال، بدءا من هدمها تماثيل بوذا في أوائل ٢٠٠١ كما أيدوها في أحداث الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) قرب نهايتها والتمسوا لها الأعذار التي لم يلتمسوا بعضا منها لشركائهم في الوطن من المخالفة الفكرية أو الفقهية أو السياسية، راجع في ذلك مثلا ما كتبه الشيخ حمود بن عقلا الشعيبي تحت عنوان: «نصرة طالبان لهدمهم الأوثان»، أو ما كتبه يوسف العييري: «الميزان لحركة طالبان»، رمضان سنة ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.

في بنجشير
وادي الأسود الخمسة

obeikandl.com

obeikandl.com

الزمان: الإثنين.
التاريخ: ٢٠/ ١٠/ ١٩٩٨.
المكــان: بنجشير، اندراب، منزل الحاج تاج الدين محمدي، والد زوجة مسعود
الهدف: مقابلة القائد أحمد شاه مسعود.

وصلنا إلى بنجشير ليلاً، ولم يكن سهلاً أن نستبين المكان، لا سيما والظلام كان يلف الأرجاء...

لم يكن لك في ظلمة الليل إلا أن تتخيل المكان، من خلال سماعك أصوات انفجارات، تبدو هي الوسيلة التي كان أطراف المعركة يريدون لنا أن نستقبل المكان بها.

وعندما ترخي سمعك يمكن أن تلتقط صوت مياه وادي بنجشير وهي تتحرك في أثر للطبيعة جميل، يوشك أن يفسده الإنسان بالشر.

كان الليل بهيماً أسود، لكننا تبينا أن السيارة التي كانت تقلنا، في سرعة فائقة، تمشي على طريق من مسارين اثنين فقط، أحدهما للذهاب

obeikandl.com

والآخر للعودة، وكان الجبل يحدنا من جهة، فيما انحدار سحيق إلى قعر الوادي يطالعنا من الجهة الأخرى. قدّرت المسافة، من صوت جريان الماء، وارتطامه بالصخور.

وصلنا في التاسعة ليلاً، بعد ساعتي مسير، إلى منزل في بنجشير، كان داراً للضيافة، وبقينا ننتظر دخول مسعود علينا، وكان أصحاب البيت يقومون على خدمتنا بحفاوة وانتظام، كما جرى العُرف الأفغاني، وبقينا نحواً من ساعتين، ونحن لا نزال نسمع أصوات التفجيرات وتبادل القصف، ما يشي بمستوى المعارك الدائرة في منطقة تبدو لنا قريبة جداً، بالنظر إلى قرب تردّد أصوات القصف المتبادل.

مضت ساعة، ونحن ننتظر، فساعتان، حتى بدأنا نتململ.

ولكن... ما هي الخيارات الأخرى المتاحة لنا، حتى لو استبد بنا الملل، وبلغ بنا منتهاه؟

علينا ألا ننسى أننا في بنجشير، وأنها معزولة، وبالتالي فبقاؤنا في حُكم المضيف هو الحل الأنسب، وإلا فما البدائل؟!

إذن علينا أن نبحث عمَّا يشغلنا.

أخذت جهاز الكمبيوتر المحمول، وبدأت أكتب وأحرر حواري مع وزير الخارجية الطالباني ملا محمد حسن، وأُجهزه لبعثه إلى جريدة «الحياة»، وقد كنتُ وأنا أفعل ذلك، أتمنى ألا يقع أحد من أنصار مسعود على الحوار، ويكون قليل عقل، فيعتبر التخاطب مع العدو خيانة عظمى، موجبة للتوقف عن إكرام الضيف، واعتباره جاسوساً أو عميلاً. لم تكن هذه الهواجس التي ترد على ذهني من مدة لأخرى، أعراض وسوسة، ومظاهر خوف

زائد، بل كانت مشاعر تنبني استناداً على ما أشاهد في هذه الأرض وأسمع من أخبار قتل وتعذيب، يتبين لك بعد معرفة سبب القتل، أن المغدور، قتل بماء بارد، فلغة القتل هنا باتت غير بعيدة عن لغة التحية وليس السلام... فهو، هنا، أندر من الكبريت الأحمر.

وبينما كنتُ منهمكاً في عملي، دخل علينا أحد الرجال الذي يقومون بشأن الخدمة في المنزل، وقال لنا: يجب أن تذهبوا إلى مقر آخر. بُلغنا أن المهندس مسعوداً لن يأتيكم هنا، ستجدونه هناك، في «إندراب». السيارة بانتظاركم الآن، في أمان اللّه.

أخذنا حاجياتنا، وركبنا السيارة، التي يفترض أن تنقلنا إلى حيث أسد بنجشير. وصلنا بيتاً في إندراب، بنجشير، لم ينته بناؤه، لكنه بيت كبير، ودخلناه، فإذا في مدخله مجموعة يقودهم رجل في نهاية الستينيات، فرحّب بنا أيَّما ترحيب، وأكرمنا أفضل إكرام، واحتفى بنا كما يجب أن يكون الاحتفاء، وزياده.

تبين أن هذا الرجل، هو الحاج تاج الدين، والد زوجة مسعود. وعلمنا أن هذا المنزل للحاج تاج الدين، لكن مسعود يقضي الكثير من وقته في بيت أنسبائه، حيث تكون زوجته لدى أهلها، بسبب كثرة سفره في متابعة شؤون القتال والمواجهات.

تاج الدين، رجل متوسط الطول، مبتسم الوجه، لحيته سوداء يخالطها بياض، بسيط، لكنه مؤمن بمسعود إيماناً راسخاً لا يخالطه شك. يبدو تاج الدين فيما يتعلق بالقناعة بمسعود، مثالاً حياً لمعظم أهالي بنجشير، غير أنه يمتاز عليهم بخاصية النسب، فإمامه وقائده، هو زوج ابنته. وأحفاد

الحاج تاج الدين، هم أولاد الرجل الذي حمى هذا الوادي من غزو السوفيات، ونغّص اللقمة التي كان من السهل أن تكون سائغة لهم. وها هو الآن مع قِلة العتاد، يقوم بمنع طالبان من الوصول إلى معقله بكل ما أوتي من قوة.

عندما دخلنا منزل تاج الدين، كانت الساعة تقترب من الثانية عشرة ليلاً، فطلبت منه أن أستخدم الهاتف. فالليلة هي مساء الإثنين- الثلاثاء، ومضى منذ غادرت الرياض ثلاثة أيام لم أتصل فيها بالعمل، ولا بالبيت. قلت له: هل تصدق أنني منذ أربعة أيام لم أخبر أسرتي أين أنا. أرجو ألا يكون القلق تسرّب إليهم!

قال لي تاج الدين في إجابته لطلبي: لا!

استغربتُ كيف تحول لطف الرجل إلى فظاظة!

من حقه ألا يسمح لي باستخدام الهاتف، فإتاحة الفرصة لي للاتصال بأهلي، فضلٌ، والفضلُ ليس واجب الأداء، وإن كان الله تعالى حثّ عليه بقوله: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة:٢٣٧).

لكن أمام الرجل المسن ألف طريقة وطريقة ليمتنع عن تلبية طلبي استخدام الهاتف، بعيداً عن الفظاظة.

كان تاج الدين ينظر في وجهي بعد أن أطلق لاءه باتجاهي، فلاحظ أني استغربت، ثم تداركتُ ما أصابني من ارتباك المفاجأة، وقلت له: عموماً هو ليس أمراً ضرورياً، يمكنهم أن ينتظروا حتى يتيسر الهاتف.

ضحك تاج الدين من أعماقه، حتى سعل من أثر الضحك!

تعجبت. هل هذا الرجل طبيعي؟ حفاوة بالغة، واستقبال نادر لا يفعله إلا الأهل مع بعضهم ووجه طلق مبتسم، ثم رافض لتقديم خدمة، ومطلق لضحكة من أقصى أقاصيه، بلا مناسبة تبدو لي.

بقيت أنا وسيد جلال نرقب جدّ أبناء مسعود، متى سينتهي من الضحك؛ لنعرف ما القصة؟

وما إن انتهى، حتى قال لي: نحن لا نسمح لأحد باستخدام الهاتف، قبل أداء واجبات الضيافة إليه. ستأكل أولاً وتشرب، ثم أبشر بالهاتف ولو أردت أن تستخدمه لساعة كاملة، فَلَكَ ذلك.

ضحكنا مع الرجل، وامتثلنا لضيافته، فسقانا ماءً من أعذب المياه التي شربتها، ولما سألته عن مصدر الماء. فتح النافذة، وقال: هل تسمع صوت النهر؟!

قلت له: نعم.

قال: إنه ثلاجتنا، ومصدر حياتنا. منه نشرب، ونسقي ضيوفنا.

بعد أن تناولنا المكسرات، والكيك، وشربنا العصير والماء، قال لي تاج الدين: الآن حان الوقت لتطمئن أسرتك. سيكونون قلقين عليك، فدارنا دار حرب، وهم لا يسمعون في الأخبار إلا الحرب والقتل، فأزل قلقهم عنك.

أخذني إلى غرفة من غرف المنزل الكبير، ذي الأدوار الثلاثة، وأشار إلى هاتف (ساتلايت)، كان برقم فرنسي.

كان الإشكال الذي أتمنى ألا أقع فيه، هو أن يسمع أحد من الأهل صوت الانفجارات وتبادل القصف، التي باتت لنا منذ أول الليل جزءاً من الطقس المسائي هنا، فيظنون أننا في وضع خطر.

المشكلة أن البعيد، لا يملك إلا الخيال، ليقيس عليه، ويبالغ في تصوير الأمر على ما لا يتمنى، فيسيطر عليه القلق ويكسوه التأثر.

اتصلت بزوجتي، وأخبرتها أنني يجب أن أختصر؛ لأن الهاتف صعبٌ توفره: أنا بخير، طمئني والدي ووالدتي أنني بخير. انتهت مكالمة الأسرة. أدرت الهاتف إلى مديري داود الشريان، فأخبرته أنني بخير. انتبه داود إلى الأصوات، فأحس بخطورة الوضع. قال لي: كن حذراً واهتم بنفسك. تأكد أن سلامتك هي الأهم بالنسبة لنا. طمأنته أن الأمور جيدة.

ما إن عدتُ من اتصالي إلى حيث كُنا نجلس مع الحاج تاج الدين، حتى وجدتُ مائدة عشاء فاخرة بانتظاري، أكلنا، حتى «تخدرنا».

كانت الساعة قد بلغت الثانية من صباح الثلاثاء. كنا حينها قد تأكدنا أن مسعود سيبيت في الجبهة، حيث يقود قواته، وأن لقاءنا به سيكون صباح الثلاثاء، وقد استبد بنا التعب بعد يوم طويل ومرهق وشاق، فبدأ النوم يداعب الجفون، ورتّب لي تاج الدين، مشكوراً، غرفة في الطابق الثالث، فخلدت للنوم.

obeikandl.com

مسعود: تصرفات ابن لادن تسيء للإسلام والتفجيرات لن تسقط أميركا

obeikandi.com

obeikandl.com

الزمان: الثلاثاء صباحاً.

التاريخ: ٢١/ ١٠/ ١٩٩٨.

المكــان: بنجشير، وإندراب، ومنزل الحاج تاج الدين محمدي، والدزوجة مسعود.

الهدف: مقابلة القائد أحمد شاه مسعود.

الموضوعات:

- **العلاقة مع طالبان.**
- **رأي مسعود في حشد القوات الإيرانية على الحدود الأفغانية.**
- **كيف أصبح الخصوم بالأمس حلفاء اليوم؟**
- **أين استقلالية مسعود من حصوله على دعم الروس والطاجيك وإيران؟!**
- **موقف مسعود من أسامة بن لادن.**

استيقظت صباحاً، فإذا بمائدة عامرة بصنوف الأطايب من الأطعمة مُدّت لي ولسيد جلال. كانت المائدة تكفي عشرة، لكن أحداً لم يجلس عليها، إلا العبدُ الفقير إلى الله، وسيد جلال، والحاج تاج الدين.

كانت المائدة تحوي أربعة أنواع من البيض، بين المخفوق، والمقلي عيوناً، والأومليت، وبعض الكبدة، بالإضافة إلى المشويات من اللحوم.

يبدو أن الأفغان يربطون الكرم بتوفير اللحوم؛ لذا فهم يقدمون اللحم المشوي، كباباً وأوصالاً، لضيوفهم، في الإفطار، وفي الغداء، وفي العشاء، ولو وجدت وجبة بين هذه الوجبات، فلن تفلت من المشويات أيضاً.

obeikandl.com

قدموا لنا عنباً من ألذ ما ذقته في حياتي. كان كالشهد، بحلاوة غير زائدة، ولا أزال أذكر طعمه.

بعد أن فرغنا من الطعام، بقينا ننتظر مسعوداً. الساعة الآن توشك على الثانية عشرة والنصف ظهراً. سألنا عنه، فقالوا: إنه لم يقدم من المعركة إلا في الثالثة ليلاً. ربما كان مرتاحاً الآن. بقينا أنا وسيد جلال وتاج الدين، نتجاذب أطراف الحديث.

كان الدور الثالث، حيث الغرفة التي خصصوها لمبيتي، يضُم مجلساً (حيث صور المؤلف مع مسعود) ومنفذاً على سطح المنزل المطل على الوادي. كان المنظر من السطح أخّاذاً، فأنت ترى جبالاً ممتدة، وفي أسفلها وادٍ سحيق، تنساب فيه المياه بتدفق جميل، بما ينبئُك عن الحياة.

في الواحدة والنصف، وبينما كنا نواصل أحاديثنا، فُتح باب الصالة التي نجلس فيها، ودخل علينا أحمد شاه مسعود وحده دون مرافقين، فصافحنا وسلم علينا، واعتذر عن التأخير.

كان يبدو مسروراً لما حققه البارحة من نتائج على الجبهة. إنه لَشعور مختلف أن تجلس مع رجل لم ينفض عنه غبار المعركة بعد. وكأنك تشتم فيه رائحة البارود، وإن في كلامه.

مسعود رجل يمتلئ بالكاريزما، حضوره طاغٍ عندما يتحدث.

يجيد الحديث كما يجيد فنون القتال، فهو يعرف كيف ومتى يتلاعب بصوته ارتفاعاً وانخفاضاً. إنه يذلل الكلام لصالحه.

يستخدم أحمد شاه مسعود، حججاً تبدو لمن يستمع إليه مؤثرة، ودامغة أحياناً.

obeikandl.com

وعلى الرغم من أن مسعوداً، الذي أجريت لقائي معه في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٨، لم يكن وضعه العسكري في نزاله مع طالبان يؤهله ليمتلئ بالثقة التي وجدتها فيه، إلا أن الرجل ليس من تلك الفئة من الزعماء، الذين يسهل انكسارهم، فهو يعلم أن في كسره كسراً لخلق كثير من ورائه، وكأنه يستحضر بجلاء قول الشاعر العربي:

لعمرُك ما الرَّزِيةُ فقدُ مالٍ ولا شَـاةٌ تمـوتُ ولا بَعيرُ

ولكنَّ الرزيـةَ فقــدُ شَـهْمٍ يَمُـوتُ بمَوتـه خَلْقٌ كثِيرُ

وقد كان الرجل يعلم جيداً أن بعض الموت المعنوي والهزيمة النفسية، أنكأ جرحاً من هزيمة الجيوش، أو الموت الجسدي.

لقد علّم مسعود قومه وأهل بيته هذا المعنى جيداً. فوالد زوجته الحاج تاج الدين، كان يتحدث معي خلال اليوم الذي قضيته في بيته انتظاراً لعودة مسعود من الجبهة بثقة لا تدانيها ثقة بأن قائدهم يستطيع أن يعبر بهم عنق الزجاجة.

كان الحاج تاج الدين يردد بمفرداته البسيطة، أن خسارة جولة أو بضع جولات، لا تعني خسارة المعركة كلها...

بل لقد قابلتُ ابن تاج الدين، راشد محمدي، إذ صادفتُ في شهر ديسمبر (كانون الثاني) من العام ٢٠٠٧ رجلاً وأنا في مطار القاهرة، فسلّم علي، وتفضل بالإشارة إلى أنه يتابع برنامجي، فشكرته على لطفه، ثم قال لي:

أنا قنصل عام أفغانستان في دبي، وأرجو أن تشرفنا، طالما أنت تقيم في الإمارات.

قلت له: يا لها من مصادفة! أنا أحرر الآن كتابي عن أفغانستان، وأود منك بعض المعلومات.

جلسنا، ولما أخبرته أني زرتُ بنجشير في العام ١٩٩٨، قال لي: أنت سكنتَ في بيتنا.

ابتسمتُ، وقلتُ له: إذا اعتبرتَ أفغانستان، كلها بيتاً لك، فهذا صحيح، أما تحديداً، فلعلك تتحدث عن غيري. لقد سكنتُ في منزل والد زوجة مسعود يا عزيزي.

ضحك الرجل، وقال: لذلك أقول لك: إنك سكنت بيتنا، وقد اتصلتُ بك من السعودية، عندما كنتُ فيها، وكنتَ في بنجشير، هل تذكر؟!

قلتُ له: من أنت؟!

وكأني أبدأ الحوار معه من نقطة البدء.

قال لي: أنا راشد محمدي، ابن الحاج تاج الدين، الرجل الذي استضافك في منزلنا.

ثم أخذنا نتجاذب الحديث.

قال لي راشد محمدي: أنا بنيت بيتنا، وحرصتُ أن أبنيه في وقت قوة طالبان؛ حتى أقول لكل أهلنا في بنجشير: إننا معكم، مصيرنا مصيركم، ولن نترككم عند الأزمات، كما يفعل بقية القادة.

obeikandi.com

حواري مع مسعود

obeikandl.com

obeikandl.com

ما إن جلسنا مع أحمد شاه مسعود، وتبادلنا التحايا، حتى بدأت لواعج النفس تستغل كل لحظة، أن أبدأ معه حديثاً من نوع آخر... حديث الصحافي الذي جاء يحمل صفحة بيضاء، يُريد أن يدوِّن عليها بعضاً من كلام الفرقاء.

لماذا سكبوا الماء والدم بعد أن جمعوه بدخول كابول منتصرين على من ظنوه دباً روسياً، فإذا هم أكثر وحشية لأنفسهم...

لذا وجدتُني أجري معه هذا الحوار:

- **ماذا تريد من طالبان؟**

obeikandl.com

- أول ما نريده هو أن نحل مشكلة أفغانستان عن طريق المفاوضات، هذا هو طلبنا. هم يريدون تطبيق الشريعة، ونحن جاهزون لذلك.

يريدون تجريد الناس من السلاح، ولا مانع لدينا.

يريدون الحرب ضد المنكرات، ونحن جاهزون لذلك.

هذه مطالب بدهية، ونحن جاهدنا من أجلها.

كل طلباتهم مقبولة لدينا، ولا نجد في ذلك فرقا بيننا وبينهم.

وما نريده هو الجلوس سوياً، لحل المشكلة.

● إذن، ما المآخذ لديك على طالبان؟

- المآخذ عليهم، ليست الموضوع المهم الآن.

المهم، هو أنهم إذا كانوا يريدون حل مشكلة أفغانستان، فأنا مستعد للجلوس معهم من أجل ذلك.

● أنت الوحيد الذي لم يُلقِ السلاح في وجه طالبان، فهل تقاتل الآن باسمك أم باسم غيرك؟

- حكومة طالبان حكومة ظلم. والحكومة لا تستطيع الحكم بالسلاح. والذين تخلوا عن السلاح في مواجهة طالبان، ربما فعلوا ذلك لأنهم لم يستطيعوا حمله.

بل ألقوا السلاح تحت تهديد القوة.

لكنهم سيعودون إلى حمله فيما بعد... وكل المناطق التي تسيطر عليها طالبان الآن ستحارب هذه الحركة لاحقا.

obeikandl.com

وقلتُ لطالبان: إما أن نحل المشكلة بالحوار، أو سنحاربكم إلى آخر مدى.

حتى ولو كنت آخر رجل حي، سأحارب، ولن أستسلم للظلم، ولا للقوة.

ولو كنت أستسلم للقوة، لاستسلمت للروس.

وكما ترى، كل البناء الذي شاهدته في بنجشير، سوّاه الروس بالأرض.

ونحن بنيناه من جديد، ولم نستسلم لهم، فكيف نستسلم لطالبان؟

قلنا لهم: تعالوا نجلس؛ لنرى ماذا نريد.

تريدون الشريعة فعلا؟

اجلسوا لنتحدث.

عندما يكون هناك خلاف بين المسلمين، فإنهم يرجعون إلى الله وإلى رسوله، كما في القرآن الكريم ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾. فلماذا هم غير مستعدين للرجوع إلى الله ورسوله؟ أنا قلت لهم هذا الكلام من أول يوم.

على أبواب كابول

- **هل جلست معهم وقلت لهم ذلك؟**

- عندما وصلت طالبان، إلى أبواب كابول، وكنا نحن المسيطرون على المدينة، ذهبت إليهم بنفسي، مع ثلاثة -فقط- من حراسي وقلت

obeikandi.com

لهم: ماذا تريدون؟ كان ملا رباني (رئيس حكومة طالبان حين المقابلة)، وملا ترابي، وملا غوث، كلهم كانوا موجودين، باستثناء ملا عمر (زُعيم الحركة)، لم يكن موجوداً.

قلت لهم: ها أنذا بنفسي عندكم، فماذا تريدون؟

قالوا: نريد الشريعة.

قلت: أنا أريدها.

قالوا: محاربة المنكرات.

قلت: هذا مقبول عندي.

قالوا: ألا نترك الحكم، والمناصب، للضباط الشيوعيين.

فقلت: لا مانع لدي في ذلك.

قالوا: نريد أن ننزع السلاح من البلاد.

قلتُ: أنا كذلك. لكني أشرت إلى أني لست كأي قائد، يملك عشر قطع كلاشنيكوف، فيسلمها فورا لهم.

أنا عندي جيش كامل، بدباباته ومدافعه ومعداته وذخيرته، كيف أُسَلّم هذه الأشياء؟! قلت لهم: أوجدوا لنا آلية لحل المشكلة.

عندها نظر كل منهم إلى الآخر، وقالوا: نحن إلى الآن لا ندري كيف سنتعامل مع الوضع!

- **ماذا تقصد؟**

- اسألوهم عن ذلك. قلت لهم: تعالوا إلى كابول لنجلس سويا ونبحث عن حل للمشكلة.

obeikandl.com

بعد يوم جاؤوني إلى كابول، جاء ملا ترابي، وملا محمد غوث، وعبدالواحد بهران، نيابة عن طالبان.

وجلسنا جلسة أخوية، كي نحل المشكلة، اتفقنا على الإعداد لاجتماع يضم مئة عالم، خمسون من كل جانب، يحددون مستقبل البلاد كلها. وقبلوا جميعا الاقتراح. وتم تعيين اليوم المحدد للاجتماع فجمعنا نحن علماءنا من أنحاء أفغانستان، لكنهم هم لم يُحضِروا علماءهم.

واسألوهم عن ذلك.

وعدونا، وحضرنا، ولم يَحضُروا، ثم ومن دون مقدمات، بدؤوا الهجوم علينا.

- **أين هاجموا؟**

– هاجموا كابول ونحن داخلها. اتفقوا مع مزاري (زعيم حزب الوحدة الشيعي الموالي لإيران)، وهاجمونا من (منطقة) تشارسياب، مستعينين بمزاري. وكل الناس يعلمون ذلك.

بل هم أنفسهم، يعترفون أحيانا بهذا الخطأ.

وبدأت الحرب منذ ذلك اليوم.

ومرة ثانية، قالوا: نريد أن نتحدث. فقلت لهم الكلام السابق: نرجع إلى الله ورسوله، ونرى ماذا نعمل، وما الذي يقبله الشعب الأفغاني.

وأنا أقبل بما يقبله الشعب. لكني لن أستسلم بالقوة أبدا، وهذا مستحيل... هذا هو رأيي من أول يوم واليوم وإلى الأبد.

مسألة كرامة

• **إذن، برأيك هم الذين أغلقوا باب الحوار. لكن الآن، هل تقاتل أنت عن برهان الدين رباني؟**

- أنا لم أقاتل أبدا حفاظاً على حكومة. قاتلتُ حفاظاً على كرامة أفغانستان وشعبها.

وكنتُ متفقا مع رباني، على أنه لو قال العلماء شيئا ضدي، فسأقبله.

ووافق رباني على المبدأ نفسه، بالنسبة إليه.

• **ما زالت حكومة رباني قائمة؟**

- من وجهة شرعية، حتى لو لم يبق لرباني سوى جزء من جبل، في أفغانستان فحكومته تظل شرعية؛ لأن ملا محمد رباني (رئيس حكومة طالبان ولا تربطه قرابة بالرئيس المخلوع)، كان ضمن مجلس أهل الحل والعقد (لوياجركا)، الذين بايعوا برهان الدين رباني رئيساً. وكذا ملا ترابي، وملا غوث. كانوا بين علماء المجلس.

ثم نحن لدينا مندوبون في أنحاء العالم، في الأمم المتحدة.

السفارات (الأفغانية في الخارج) لا تزال كلها تابعة لنا.

ولكننا لأجل أفغانستان، سننسى هذه الأمور.

نريد أن نجلس ونتكلم؛ لنوجد حلاً.

obeikandi.com

خصوم الأمس

• **وماذا عن خصومك بالأمس (الروس)؟ هل أصبحوا حلفاءك اليوم؟**

- هذا الكلام أنتم سمعتوه من بعيد.

وهذه دعاية صدقتموها، أنا لستُ عميلاً لأحد، ولا أحاربُ عن أحد.

قراري بيدي، ومن دون أن أرجع إلى أحد، أقول لكم: إني مستعد للحوار.

ثم إن شعبنا، هو الذي أخذ قرار الحرب.

ولم يأخذه أحد نيابة عن الشعب.

ولو كنتُ أمثل أي دولة أجنبية، لكان الأولى أن أمثل باكستان.

وسبب المشاكل التي أواجهها الآن، هي أني أؤمن بحرية الرأي في بلادي.

ثم إن أي بلد يساعدني، لا يساعدني لأجلي، بل يساعدني لأجل مصالحه.

أنا آخذُ القرار بنفسي.

وأقول لطالبان: تعالوا اجلسوا معي، لنتحدث.

وأي شيء يرضي الله ورسوله، فأنا راض به.

وكل ما فيه مصلحة الشعب الأفغاني، فأنا قابل به.

obeikandi.com

• كان بينك وبين عبد رب الرسول سياف (زعيم الاتحاد الإسلامي) عداء شهير أيام الجهاد، كيف تحالفتم الآن في وجه طالبان؟

- عندما كان سياف بعيداً عن البلد، كانوا يعبئونه ضدي.

وكانت صورتي عنده سيئة. هو بنفسه اعترف لي أن انطباعه عني كان خاطئاً تماماً. وعندما جاءنا ورأى كل شيء، اختلف التصور.

• أهي صداقة بعد عداوة؟

- خذ مثالا آخر: الدكتور عبدالله عزام، كان يخالفني في كل شيء وضدي على طول الخط.

والغريب، أنه لم يرني ولم أره.

ومع ذلك كان ضدي.

ثم جاء إلى منطقتنا مرتين، واعترف بعدها بنفسه، أنه لو قال له الزعماء الأفغان: إن الليل حَلَّ، فإنه لن يصدق، حتى يرى الليل بعينيه.

لأن الكلام الذي نقلوه لعزام عني، كما يقول، كان مختلفاً تماماً عن الحقيقة.

كذلك الآن، هناك من يقول: إن معي (مقاتلين) رُوساً.

اذهب وفتش في جبهاتنا كلها.

ولو وجدت أجنبيا واحدا، فحاسبني.

وإذا أراد أحد أن ينشر مراقبين في الجبهات، للتأكد من عدم وجود أجانب يقاتلون معنا، فنحن مستعدون لذلك.

obeikandi.com

• **مشهودٌ لك باستقلاليتك، حتى إنك لم تخرج من أفغانستان طيلة أيام الجهاد، وهو ما لم يفعله أي قائد أفغاني آخر، لكنك الآن تتلقى دعما من دول مثل إيران، وطاجيكستان، وغيرهما، فهل يتوافق ذلك مع هذه الاستقلالية؟!**

– كيف يؤَثِّر ذلك على استقلاليتي؟

في يوم من الأيام، كنا نحارب الروس، وكانت السعودية تساعدنا، فماذا أثر ذلك على استقلاليتنا؟

هل كانت السعودية تتحكم فينا؟

هذا غير صحيح.

• **ولكن الدول التي كانت عدوة أصبحت تقدم لك الآن الدعم، فما السر؟**

– هم يدعمونني لأجل مصالحهم، وليس لأجلي أنا.

• **ولكن هل تقبل أن يدعمك اليوم عدوك بالأمس؟**

– (يضحك). ثم يستشهد بالقرآن: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾.

• **تعتبر نفسك في حكم المضطر؟**

– من الذي لا يملك الحق في أن يقبل المساعدة، دفاعاً عن نفسه، من أي شخص كان.

ولكن على سبيل المثال، أنا أطلقت خمسين أسيراً، من طالبان، بناء على وساطة سيد جلال، ولم أقل لجلال: انتظر لأشاور أحداً، أو أسأل دولاً، أو أفَكِّر أياماً، بل قلت له بالهاتف على الفور: إني مستعد لذلك، وأظن هذا يدل على استقلاليتي.

obeikandi.com

طالبان والقرار الباكستاني

• لماذا تنتقدون طالبان على أنها تتلقى مساعدة من باكستان، والأمر ذاته تفعلونه أنتم مع دول أخرى، فلماذا تعيبون على عدوكم ما تفعلونه أنتم؟

- نظرة باكستان الإستراتيجية البعيدة، كانت دعم حكمتيار، وتعب شعبنا كثيرا نتيجة ذلك. وعندما رأى الباكستانيون أن حكمتيار لا يستطيع تنفيذ مخططاتهم، لجؤوا إلى دعم طالبان، والفرق عندنا أننا نحن نأخذ قرارنا بأنفسنا، لكنهم لا يأخذون قرارهم بأنفسهم، ولا بد أن يرجعوا إلى باكستان في كل شيء.

قلنا لهم: تعالوا نتكلم، ونحن لسنا بحاجة لنشاور أحداً، أو أن ننتظر موافقته للجلوس والحديث معهم.

فلماذا هم غير مستعدين للرجوع إلى الله ورسوله؟!

هذا يدل أن القرار ليس بيدهم، بل بيد باكستان، هذا واضح.

إنهم لا يستطيعون اتخاذ قرار بأنفسهم.

• واضح أنك تحمل فكرة سيئة عن باكستان. لكن إذا كنت ترى أن باكستان لا تريد الخير لأفغانستان، وتسعى إلى تدمير بلدكم، فلماذا دعمتكم أيام الجهاد، مع أن الروس كانوا سيحققون لهم هذا الهدف؟

- لو تركوا الروس لكانوا أخذوا باكستان أيضا ولم يتركوها.

obeikandl.com

• إذن، أنت ترى أن دعم باكستان لكم وقت الجهاد كان فقط لمواجهة دخول السوفيات إلى باكستان؟

- كان الدعم فقط لمنافعهم الخاصة.

• هل كنت تحمل هذه النظرة أيام الجهاد؟

- نعم وقلتها لهم في وجوههم، أيامها قبل دخول كابول بعام، قمت بسفرة قصيرة جدا إلى باكستان، قابلت خلالها رئيس الأركان الباكستاني (في حينه) أسلم بيك، وكان الاجتماع طويلا، في آخر أيام الجهاد. وقلت له: أنا مستعد أن أكون صديقا ممتازا لباكستان، وهذه الصداقة ستكون مفيدة جدا لكم ولنا.

وعرفت من كلامه ما هو مقصده.

ولهذا السبب قلت له مرتين: أنا أرى أن من مصلحتنا أن تكون لنا صداقة جيدة معكم، كما أن لكم مصالح في أن تكون لكم علاقة طيبة معنا.

ولكن لا تحاولوا أن تضعوا عميلاً لكم في الحكومة؛ لأن هذا سيسبب لكم مشاكل كثيرة. اكسبوا الشعب الأفغاني كله. كان هذا رأيي من البداية، وحتى الآن: إن خير باكستان في صداقتنا وخيرنا نحن في صداقة باكستان، اقتصاديا وسياسيا.

لكن سياسة باكستان السيئة في أفغانستان، جعلت كل أسواق آسيا الوسطى، تذهب إلى بلدان ثانية. ولولا هذه السياسة الباكستانية الخاطئة لكان الخط السريع الذي يربط آسيا الوسطى بباكستان عبر أفغانستان

قد أُنجز، وكان تحسن وضع باكستان، وآسيا الوسطى. فطريق تجارة آسيا الوسطى للعالم الآن، تُمرُّ عبر روسيا فقط. قلنا لهم هذا الكلام في البداية. لكن لا تفرضوا وصاية علينا، ولا تضعوا حكومة عميلة لكم. لكنهم أرادوا عملاء لهم، وهذا صعب على أفغانستان، وما تراه الآن هو نتيجة السياسة الباكستانية في أفغانستان.

وحتى الآن، لم تتغير سياسة الجيش الباكستاني.

أين دوستم؟

- **لماذا انسحب دوستم[١] من التحالف الشمالي؟**

– ما زال موجودا في التحالف.

- **هل قواته موجودة؟**

– لا، ليس عنده جيش الآن.

- **أين جيشه الآن؟**

– جزء منه أخذته طالبان والآخر في الجبال ضد طالبان. دوستم كان يحكم بالظلم وبالقوة، ولم يكن الشعب راضيا عنه، ومناطقه مناطق جهاد، وأكثر مقاتليها هم في الجمعية الإسلامية، والذين في الجبال أكثر من الذين مع طالبان.

- **هل يتبعون لك حاليا؟**

– نعم.

obeikandl.com

• كيف تحالفت مع دوستم رغم المعارك الضارية التي دارت بينكما في كابول، أم أنها قاعدة ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾؟

- نحن الذين أخذنا كابول وليس دوستم. هو الذي حصل لنا عليها[٢]، لكن الآخرين أحبوا أن يجعلوه ضدنا، وأن يصنعوا له هالة.

ساعدوه ودعموه وكبروه وأظهروه ضدنا.

ثم أصبحت له علاقة مع باكستان، مثل حكمتيار. وحاربنا من جهات عدة حتى خرجنا من كابول، عندها أدرك دوستم أن الباكستانيين غشوه واستخدموه، وأنهم لن يتركوه كما حصل لحكمتيار. بعد ذلك راجعني هو بنفسه. وأنا أقبل أي جيش يتحالف معي، أو يساعدني ضد طالبان الذين تدعمهم باكستان.

• هل يعني ذلك أنه قد يأتي وقت تجعلك المصالح تتحالف مع طالبان كما فعلت مع دوستم؟

- عندي لائحة أصول أساسية. وأي شخص يصل معي إلى اتفاق على هذه الأصول، لا مانع لدي من التحالف معه.

• ما هي هذه الأصول؟!

- الأصول هي:

١- استقلال البلد.

٢- حدودنا الجغرافية.

٣- تطبيق الشريعة.

obeikandi.com

٤- الاتجاه للانتخابات العامة. فلا بد أن نعطي في يوم من الأيام الحق لشعبنا كي يختار.

قلت ذلك دائماً. وأي شخص يقبل بهذه الأصول، فلا مانع لدي من التحالف معه.

الحشود الإيرانية

- **ما رأيك في الحشود العسكرية الإيرانية على حدود أفغانستان؟**

- هذه مشكلة إيران مع طالبان. هم (طالبان) قتلوا الدبلوماسيين الإيرانيين وهذه مشاكل بينهم، وهم يحلون مشاكلهم بأنفسهم.

- **هناك من يرى أن الحشود الإيرانية هي لتخفيف الضغط على قواتك في قتالك مع طالبان، فما رأيك؟**

- هذا غير صحيح، فكل ضغط طالبان علي أنا الآن.

أكثر قادتهم المعروفون هم على رأس مقاتليهم الذين يقاتلونني، والموجودون أمام إيران على الحدود الآن هم جيش الصحابة الباكستاني والجيش الباكستاني. كل الناس يعرفون ذلك، وعلى قدر ما يحتاجون أن يضعوا في مواجهتنا فإنهم يفعلون ذلك. ولم يُقَصِّروا (يضحك).

- **عودة إلى مسألة الحشود الإيرانية على الحدود الأفغانية. أنت كأفغاني، ألا تحس بالألم لوجود جيش يهدد أراضي بلادك؟**

- هذا مؤلم جدا لنا، لكن المؤلم أكثر أن طالبان تتصرف تصرفات تجعل العالم كله ضدنا وليس فقط إيران.

obeikandi.com

طالبان تنتج المخدرات ويصدرونها.

وهم جعلوا أفغانستان مركزا للإرهاب.

نحن لدينا مشاكلنا الداخلية، لم نحلها حتى نحل مشاكل العالم الخارجي.

هذه سياساتهم الخاطئة التي سببت هذه المشاكل.

- **لكن مشاكل المخدرات، ووجود الإرهابيين كما تقول، كانت من أيام حكومتكم السابقة؟**

- كانت موجودة لكن ليس في منطقتي.

- **في منطقة من كانت؟**

- كانت في المناطق التي تحت سيطرة حكمتيار، وفي مناطق لم تكن تحت سيطرة أحد.

- **والآن كلها في مناطق طالبان؟**

- كل المناطق التي تنتج فيها المخدرات هي تحت أيدي طالبان ويأخذون ضرائب رسمية عليها.

موقف مسعود من ابن لادن

- **وموضوع وجود الإرهابيين؟**

- أول من آواهم حكمتيار، وعندما ذهب حكمتيار تولتهم طالبان.

- **لكن هل كنت أنت تعترض على وجودهم؟**

obeikandl.com

- نعم اعترضت وكانوا يحاربونني ولم يكونوا يحبونني.

- **هل تقصد أسامة بن لادن؟**

- ابن لادن وأمثال ابن لادن.

- **تقصد الأفغان العرب؟**

- نعم. أكثرهم كانوا مع حكمتيار.

- **إذن، أنت لم يكن معك مجاهدون عرب؟**

- كان عندي عرب. كان عبدالله عزام يرسلهم إلي يجاهدون ثم يعودون، وكان الجزائري عبدالله أنس من أشهر الذين قاتلوا معي. وهو الآن في إنكلترا.

- **هل تعترض على تصرفات الأفغان العرب، وخصوصا ابن لادن؟**

- جداً. فهذه التصرفات ليست لمصلحة الإسلام، وإن قالوا: إنها لمصلحة الإسلام. هم يدمرون سمعة الإسلام ويظهرونه وحشيا، وعلى أي حال هذا ليس في مصلحة المسلمين ولا في مصلحة أفغانستان.

فما مصلحتنا في أن يستخدم ابن لادن أراضينا ويسبب لنا مشاكل لا نهاية لها؟ نحن نختلف معه، ونعتبر أن هذا ليس في مصلحة أو خير الإسلام أبدا.

وأي شخص يعتقد أن هذه التصرفات لمصلحة الإسلام، أو حتى لمصلحة أفغانستان فإنه مخطئ.

لن نستطيع أن نسقط أميركا بهذه الأمور.

هذه التصرفات تسيء إلى سمعة الإسلام.

obeikandi.com

أن تضع قنبلة لتنفجر في فندق فتقتل أميركيين اثنين، ويموت مئات المسلمين الآخرين ويجرحون...

هل هذا جهاد؟!

أي شريعة هذه؟!

إن قتل أي إنسان، حتى لو لم يكن مسلماً، بهذا الشكل عمل خاطئ.

ماذا يستفيد الإسلام من ذلك؟!

هذا يغير رأي العالم كله عن الإسلام.

طريقة النهوض بالإسلام ليست بالإرهاب، ولا بهذه التصرفات.

• لو كان الأفغان العرب الموجودون الآن في أراضي طالبان وعلى رأسهم ابن لادن تحت سيطرتك، فهل ستسلمهم إلى الحكومات التي تطالب بهم سواء كانت الحكومات العربية أو أميركا؟

- أفضل شيء كنت سأعمله هو أني سأحاول الإصلاح بينهم وبين حكوماتهم، وكنت سأطلب من الحكومات ألا تسجنهم ولا تقتلهم، وأن تدعهم يعيشون في بلادهم، وإذا كان هؤلاء الأفغان العرب يريدون أن يحاربوا لأجل الله ورسوله، فسنرشدهم إلى الطريق الصحيح.

هناك طرق كثيرة يمكن من خلالها خدمة الإسلام، والدفاع عنه، دون الإساءة إلى سمعته.

• ولكن كيف كنت ستوفِق -بهذا الشكل- بين الأفغان العرب وبين الحكومات التي تطالب بتسليمهم لمحاكمتهم في قضايا قتل أبرياء؟

obeikandi.com

- كنت سأحاول كل جهدي لتقريب وجهات النظر.

• **وإن لم تستطع؟**

- كنت لن أقبل أبدا استخدام أراضينا منطلقاً لهذه الأمور، ووقتها... لكل حادث حديث.

• **لكنك لن تقوم بتسليم الأفغان العرب؟**

- لكل حادث حديث.

• **متى تتوقع أن ينتهي سيناريو القتال في أفغانستان بينك وبين طالبان؟**

- حين يجلسون معي إلى طاولة المفاوضات.

• **ومتى تتوقع أن يحدث ذلك؟**

- عندما تعتقد باكستان أن الحرب يجب أن تتوقف و لا داعي لها.

•• انتهى الحوار مع مسعود، بعد أن استغرق أكثر من ساعة ونصف الساعة من الوقت، وكان سيد جلال، هو الذي يترجم بيني وبين الضيف، مشكوراً.

كان مسعود، حاضراً بالإجابات، مع أني أحسب أن الأسئلة كانت محرجة. لكنه لم يتذمر من سؤال، ولم يغضب من تعليق.

خرجتُ بعد ذلك من الصالة، وتركتُ سيد جلال ومسعوداً ليتحدثا في موضوع الوساطة بين تحالف الشمال وطالبان لتبادل إطلاق الأسرى.

وجدتُ الفرصة مناسبة للتجول في شوارع بنجشير... الجنة المعزولة، آنذاك.

obeikandl.com

١- كان عبد الرشيد دوستم يعد أقوى قائد عسكري في آخر حكومة شيوعية في أفغانستان. وكان يقود أكثر من ١٥ ألف جندي. وينتمي إلى العرقية الأوزبكية السنية، وقد تحالف مع أحمد شاه مسعود، ونجحا في دخول كابول، وإجبار قوات حكمتيار التي سبقتهم إليها على الانسحاب منها، ولكن بعد مدة دب الخلاف بين الرجلين وانفصمت علاقتهما. وقد ساعد دوستم في الإطاحة بحكم طالبان سنة ٢٠٠١، ورشح نفسه للرئاسة سنة ٢٠٠٥، وقد حاولت طالبان اغتياله في ٢٠ يناير (كانون الثاني) من عام ٢٠٠٦.

٢- كان لتحالف أحمد شاه مسعود مع عبد الرشيد دوستم، وميليشياته الجوزجانية، والذي كان يعتبر الحامي الأخير لنظام نجيب الله، أثره القوي في قدرة المجاهدين على فتح كابول، حيث عقد أحمد شاه مسعود، اتفاقا سريا مع الجنرالين دوستم ومؤمن، وكان عدد الميليشيات ٧٠ ألف جندي بكامل أسلحتهم وعدتهم، فسقطت مزار شريف في يد المجاهدين، نتيجة هذا التحالف، في منتصف مارس (آذار) من العام ١٩٩٣، ثم سقطت قاعدة باغرام في منتصف أبريل (نيسان) من العام نفسه، وفي ٢٥ أبريل (نيسان) دخل المجاهدون كابول، وأخذ كل فصيل مؤسسة من المؤسسات، فأخذ رباني الخارجية ووضع حكمتيار يده على القصر الجمهوري ووزارة الداخلية ووزارة المالية، ودب الخلاف بينهم، حتى تشكلت إدارة مؤقتة بقيادة صبغة الله مجددي.

(انظر: جمال إسماعيل، معركة كابول هل انتهت؟ (مجلة الجهاد)، مكتب خدمات المجاهدين، عدد ٨٧).

obeikandl.com

بنجشير... الجنة المعزولة

obeikandl.com

obeikandl.com

بنجشير هي موطن أحمد شاه مسعود ومعقله، لذلك سُمِّي مسعود بأسدِ بنجشير، إذ إن معنى بنجشير باللغة العربية «الأسود الخمسة»، وهي وادٍ بين سلسلة جبال ممتدة بامتداد الوادي.

وليس لها إلا مدخل من طرف الوادي ومخرج من الطرف الآخر. وتمتد الأشجار الوارفة على امتداد الوادي الذي تحيط بجانبيه منازل السكان.

عندما زرتُ بنجشير، لم يكن للكهرباء فيها من أثر، لكن بضعة بيوت للمقتدرين، تستخدم مولدات كهربائية صغيرة، لإمدادها بكهرباء ضعيفة. لذلك لا غرابة أن تنام المنطقة مبكراً في سبيل استجماع قُواها لنهار اليوم الآتي حيث لا حاجة للكهرباء كثيراً في النهار.

obeikandi.com

المنطقة تملؤها الخضرة وتتدفق المياه خلالها. ومياه بنجشير من أنقى المياه في العالم. ولو سخرت الإمكانات، لأمكن تصديرها إلى دول العالم.

السكان في بنجشير يُحبون مسعوداً كثيراً، فهو قدّم مساعدات كبيرة لهم. إنه بمنزلة الرمز بالنسبة إليهم، والشعوب بحاجة إلى رموز دائماً، لاسيما في أوقات الأزمات. ومسعود، حقيق بالزعامة فهو قضى حياته بين بني قومه في جنبات وادي بنجشير، ما جعلهم يُحِسون بأثره، وصدقه في قربه منهم.

في شوارع بنجشير الترابية الضيقة، يصطف الباعة المتجولون، أو أصحاب المحلات الصغيرة والمتواضعة.

أحد المحلات هو عبارة عن حاوية تستخدم كعيادة أسنان وفيها طبيب شاب اسمه نور آغا، تخرج من بيشاور في العام ١٩٩٤. ويقول: إن معدل المرضى الذين يترددون على عيادته يوميا يتراوح بين ١٥ و٢٠ مريضا. ويعتبر نور المشكلة الرئيسة التي تواجهه هي صعوبة توفير الدواء في بنجشير؛ نتيجة للحصار المفروض على المنطقة.

وعلى عكس مناطق «طالبان» حيث لا يحمل السلاح إلا المقاتلون، فإن السلاح منتشر في أيدي الجميع في مناطق مسعود، خصوصا في بنجشير. وما يخفف من حدة الحصار على بنجشير هو أن المواد الغذائية متوافرة في المنطقة، فالطعام والماء والفاكهة موجودة في بنجشير بوفرة، وهي في متناول عامة الناس.

obeikandi.com

الزمرد

obeikandl.com

obeikandl.com

هنا، في بنجشير، تسمع أصوات انفجارات، فتظنها للوهلة الأولى أثراً من آثار الحرب، لكنك تكتشف فيما بعد أنها تفجيرات في الجبال لاستخراج الزمرد، أحد أهم الموارد في المنطقة.

ويستخرج الزمرد من ثلاث قرى، هي: داشت ديوات، وسفيت نشير، وخنش. ولاستخراجه طريقتان: إما بالتفجير أو الحفر في الجبال. ويبدو أن توافر القنابل جراء القتال جعل استخراج الزمرد بالتفجير هي الطريقة المعتمدة.

قال أحمد شاه مسعود لي: إن الناس في بنجشير يستخرجون الزمرد ويبيعونه و«نحن نأخذ ١٠ في المئة كضريبة عليه. والمبالغ التي كنا نحصل

obeikandl.com

عليها أيام الجهاد كانت أكثر بركة بفعل الجهاد، فقد كنا نحصل على ما يكفي خمسين في المئة من مصاريفنا العامة. أما الآن فلا تكفي ضريبة الزمرد ٥ في المئة من المصاريف». ومن أين تُوفر بقية المصاريف؟ أجاب: «الدولة (دولة رباني) تدفع الباقي».

ولم يكتف الأفغان في بنجشير باستخدام المتفجرات للقتال واستخراج الزمرد، بل ابتكروا طريقة جديدة لصيد الأسماك بالقنابل، إذ يلقون القنبلة في الأنهار والأودية ويحيطونها بشباك صيد يجمعون فيها ضحية قنابلهم من الأسماك!

ويبدو أن اعتياد القتال يُحيلُ أدوات الحرب وسائل للحياة العادية، بل تتحول أحياناً إلى وسائل تسلية ومتعة أيضاً!

obeikandi.com

رواتب المقاتلين

obeikandl.com

obeikandl.com

في بنجشير، التقيتُ شخصا تابعا لعبد رب الرسول سياف (زعيم الاتحاد الإسلامي السُّني الشريك في المعارضة)، وقال: إن سياف يدفع لكل واحد من أتباعه الذين يبلغ عددهم ٧ آلاف، راتبا شهريا يعادل مئتي دولار، وهو مبلغ مرتفع جدا قياسا إلى الوضع الاقتصادي في أفغانستان وباكستان أيضا.

أما مسعود فأكد لي أنه يدفع للمقاتل من أتباعه ما يعادل خمسة دولارات شهريا فقط. وعندما أخبرته كم يدفع حليفه سياف لمقاتليه، قال: «أتباعي يقاتلون بالروح وليس لأجل المال». في الوقت نفسه، يتلقى مقاتلو «طالبان» عشرة دولارات شهريا، فيما لا يزيد راتب الوزير في حكومة الحركة عن سبعة دولارات!

obeikandl.com

وعلى الرغم من محبة أهالي بنجشير لمسعود وقادته، إلا أن الزائر يلاحظ فرقا في تعاملهم مع الناس العاديين، خلافا لما يحدث في أراضي «طالبان». فقادة «طالبان» يتناولون وجبة متواضعة ويجتمع كل المقاتلين مع قادتهم على مائدة واحدة. أما قادة مسعود فمائدتهم «فارهة» بمقاييس أفغانستان، ولا يشاركهم فيها المقاتلون العاديون، في ممارسة لنوع من الطبقية.

وتتضمن مائدة «طالبان» عادة، البطاطس بالطماطم مع الخبز واللبن الأفغاني. أما مائدة مسعود فتتضمن الأرز والبطاطس باللحم والكباب واللبن والفاكهة.

openkandi.com

مسعود في عيون أنصاره

obeikandl.com

obeikandl.com

يقاتل سياف في بنجشير تحت مظلة مسعود، في حلف غير معلن أمام وسائل الإعلام. ويحرص سياف على عدم الظهور في مواجهة طالبان على الرغم من أنه من قادة المجاهدين البارزين وله شهرة كبيرة، خصوصا في العالم العربي، تحسباً لكل الاحتمالات المستقبلية. فانتصار «طالبان» على مسعود، يجعل الأخير الخاسر الوحيد، أما انتصار مسعود فيطول شريكه سيافاً.

ولا يجدُ مسعود غضاضة في ذلك، فهو يبحثُ عن النصرة والمعاضدة والتحالفات أمام عدوه طالبان، وهو مستعد للتضامن مع الشيطان، كما قال، من أجل استعادة بلاده من السيطرة الطالبانية!

obeikandl.com

والذين يعرفون سيافاً يدركون أنه داهية يملك القدرة على الإقناع، ما مكنه من إقناع مسعود أنه كان يقاتله ويعاديه طيلة مدة الجهاد، لأنه كان متأثرا بكلام الناس عنه. ومسعود لا يخسر بالتحالف مع أي أحد ضد طالبان، بل يكسب تعزيزا لجبهته.

ويعترف مسعود بأن معظم الذين لا يعرفونه شخصيا يحملون انطباعاً خاطئا عنه. ويقول للمؤلف: إن لذلك أسبابا عدة، أحدها «أني كنت بداية أيام الجهاد أسست مجلساً للشورى في المنطقة، فكان الناس يقولون: لا يمكن أن يكون أفغاني بهذا التنظيم، ولذلك لا بد أن وراءه من ينظمه من الدول الأجنبية».

ويبرز هنا رفض الشعوب للجديد، وإلقاء التهم على كل ما لم يعتده الناس، ووصفه بأنه مندرجٌ تحت طائلة العمالة!

ويضيف مسعود: «أيام الجهاد، أغلق الروس مدخلي وادي بنجشير، وحاصرونا ونحن في إحدى قمم الجبال، في حين كانت قوات قلب الدين حكمتيار، تغلق علينا المنافذ الأخرى. كان فصل الشتاء قد اشتد، والشتاء في هذه الأرض دون استعداد له، يعني أمراً شبيها بالموت، فأرسلت إلى قادة الأحزاب، طالباً المساعدة، فاجتمع القادة، وقالوا: إذا ساعدنا مسعوداً، وخرج منتصراً من هذا المأزق، فسيصبح بطلاً قومياً، في أعين الشعب. وقرروا أن يرسلوا لي مبلغاً من المال شهرياً كمصروف للمنطقة. وبدؤوا بستة ملايين روبية باكستانية، ثم قلَّص حكمتيار وخالص وسياف المبلغ حتى بلغ مليوناً ومئتي ألف. وعندما جاءنا مندوب سياف بالمبلغ، ورأى وضعنا خجل كثيراً، من ضآلة المبلغ، قياساً بما نحن فيه من حصار وشدة وصعوبة».

ويعترف مسعود بأنه يعاني إبان مقابلتي له من قلة الذخيرة، على الرغم من وفرة المعدات العسكرية لديه. ويقول: «لو كان لدي سلاح كاف لكانت كابول في يدي الآن. لدي سلاح ولكنه ليس بالقدر الذي يمكنني من السيطرة على كابول، ولا تنسَ أن خط المواجهة الأول مع طالبان يبعد عن كابول ٢٥ كيلومترا فقط. ولو استطاعوا (طالبان) لأبعدوني عنه».

شخصية مسعود آسرة بالنسبة إلى الغريب، فكيف بالقريبين منه. ويكفي أنه الوحيد الذي تصدى لمواجهة طالبان بقوة حتى وقت زيارتي للبلاد، بل وحتى وفاته في العام ٢٠٠١، بعدما تخلى حكمتيار عن المواجهة، وكذلك حزب الوحدة الشيعي، والجنرال عبدالرشيد دوستم قائد الميليشيات الأوزبكية.

وكما أن مسعود مشهور بقدراته العسكرية وإجادته فنون القتال، فإنه يجيد الحوار والتحدث بالقدرات ذاتها. درس الهندسة في جامعة كابول، لكنه طرد منها لمناهضته حكومة داود خان، الشيوعية، آنذاك. وكان ذا ميول عسكرية حتى قبل دخوله الهندسة، إذ إن والده كان أحد جنرالات الحكم في عهد ظاهر شاه. وكان والده هو الذي صرفه عن تعلم الفنون العسكرية إلى الهندسة. واستمر لقب المهندس، هبةً يخلعها عليه أنصاره ومحبوه، حتى مع عدم إتمامه دراسة الهندسة!

openelkandi.com

obeikandl.com

مجاهدٌ... أم عميل؟!

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

هل كان مسعود مجاهداً وطنياً، أفغانياً صرفاً، تعنيه بلاده في المقام الأول، وقبل كل شيء، أم أنه كان عميلاً لدولٍ وانتماءات خارجية؟!

يبدو هذا السؤال العام، سطحياً، ساذجاً... لكن القضايا السطحية هي التي تصنع المفارقات والنزالات والنزاعات، لا سيما في المناطق التي يغذيها النزاع، وتقتات على الصراع، لتكون هذه السطحية، عاملاً رئيساً من عوامل تشكيل عقلية الإنسان!

بيد أن هذا الصراع - السؤال، ليس قصراً على أحمد شاه مسعود وحده، بل هو سؤال يوجه بل يُلقى باتجاه كل شخصية فاعلة ومؤثرة في المشهد، وسياقات التشكيل في المجتمع.

وتأتيكَ الإجابة عادةً، متباينةً بين الشرق والغرب، بالنظر إلى رأي الأنصار والخصوم، بطبيعة الحال.

كان الذين قتلوا مسعود في تفجير شبه انتحاري، في سبتمبر (أيلول) ٢٠٠١، قبيل أحداث الحادي عشر من سبتمبر بيومين، بالتأكيد، يرون مسعوداً، حقيقاً بالقتل، والفناء، والإبادة، وجديراً بالموت، هم ومن خَلفَهم، ممن أرسلهم لقتل القائد البنجشيري الأفغاني.

وسهام الاتهام لا تخطئ أسامة بن لادن، بطبيعة الحال، كما مرّ معنا في رواية العوشن عن العييري.

في الوقت ذاته، فقد كان أنصار مسعود، ومحبوه، وعصبته، ولا زالوا، يرونه بطلاً قومياً، وإسلامياً...

ويسوقون الحجج تلو الحجج، والأدلة بعد الإثباتات لتأكيد ما يرونه...

وكان مسعود من أكثر القادة العسكريين تميزاً أيام الجهاد الأفغاني. وقبل الجهاد، كان ممن يتخذون بيشاور قاعدة لهم، لمهاجمة حكومة داود، والتحصن في بنجشير، ثم العودة إلى بيشاور، في عمليات كرٍ وفر.

ويقول البعض: إن جنرالاً بريطانياً هو الذي درب مسعوداً على القتال، إبّان الرعاية الأميركية والبريطانية للمجاهدين الأفغان، لمواجهة الغزو الروسي.

ووفقاً لتلك الرواية، فقد تم اختيار مسعود بالذات، لتوافر الذكاء والنباهة فيه.

ولم يكن مسعود يوماً قائداً لحزب، فأيام الجهاد كان تحت لواء برهان الدين رباني في «الجمعية الإسلامية».

obeikandl.com

وبعد الجهاد، أصبح وزير الدفاع في حكومة رباني. وعلى الرغم من ذلك، فإنه لم يكن يوما مرؤوساً يأتمر بأوامر رئيسه، بل كان مستقلاً تماماً. ويقول المحللون: إنه اتخذ من رباني غطاء سياسيا لتصرفاته وأهدافه.

واشتهر مسعود بالتحالفات التي تغضب الآخرين منه أحيانا، وتملأ خيالهم استفهاماً في أحيانٍ أخرى.

فهو تحالف مع دوستم ضد طالبان، بعدما كانا عدوين لدودين اقتتلا في كابول عام ١٩٩٢ قتالاً عنيفاً.

كما أنه تحالف مع سياف ضد طالبان، بعدما كانا أيام الجهاد أعداء. كما تحالف مع إيران قبيل وفاته، في مواجهة طالبان.

ومن غرائب مسعود أنه وقع هدنة مع الروس أيام الجهاد، ففسرها محبوه على أنها قوة، إذ أرغم الروس على توقيع هدنة. وقال أعداؤه وفي مقدمهم حكمتيار: إنها سمحت للروس بالتقاط أنفاسهم، وترتيب صفوفهم، بعدما أعياهم قتال المجاهدين. وهو ما دفع حكمتيار إلى وصف مسعود بأنه «عميل للروس».

ويقول الحاج تاج الدين، والد زوجة مسعود، بلهجة يعتصرها الألم: «كان مسعود يريد بعد انتهاء الجهاد أن يزور الدول التي ساعدت المجاهدين، كالسعودية وباكستان؛ ليشكرها على دعمها طيلة سنوات الجهاد. كما أنه لم يخرج طيلة مدة الجهاد من أفغانستان، ولذلك كان يتمنى بعدما ينتهي الجهاد أن يزور العالم، لكنهم لم يتركوا له فرصة لتحقيق أهدافه».

بعد أن أجريت الحوار مع مسعود، وتجولت في بنجشير، دعانا مسعود إلى غداء في الرابعة عصراً، وهو وقت لم يعتد الأفغان على تناول الطعام فيه، لكن مفاوضاته مع جلال امتدت حتى ذلك الوقت. كانت مائدة مسعود عامرة فاخرة، بالمقاييس الأفغانية، وعلى المائدة كنت أكمل الحوار معه، فقال لي مسعود ضمن ما قال: إن طالبان ظالمة!

تركي: أي ظلم هذا الذي تتحدثُ عنه؟!

مسعود: القندهاريون مشهورون بسوء الأخلاق. اللواط منتشر بينهم جداً! إنهم إذا فتحوا بلداً بدؤوا بصبيانه ففعلوا بهم. لقد هرب منهم إلينا صبية كُثر؛ خوفاً من هذا المصير.

كما إنهم لا يُقدرون الناس، ويضربونهم بالكابلات. إذا دخلوا بلداً طلبوا من أهلها إلقاء السلاح وتسليم الأسلحة، فتأتي أول مجموعة وتسلم أسلحتها، ثم تأتي مجموعة من طالبان، وتطالب من سلّم السلاح لمجموعة طالبانية أخرى بأن يسلم السلاح، فإذا قال لهم ليس لدي سلاح، قالوا له: إما أن تسلم سلاحاً أو أن تدفع نقوداً، أو أنهم سينهالون عليه ضرباً. هناك كثيرون ضربهم الطالبان حتى ماتوا من شدّة الضرب، وهم معروفون بأسمائهم، حتى لا تتصور أنني أختلق القصص على طالبان.

تركي: إذا كان هذا هو وضع طالبان، وهم بهذا السوء الذي تتحدث عنه، فلماذا كررت عليّ في الحوار استعدادك للجلوس معهم من أجل التفاوض؟!

مسعود: أريد مصلحة أفغانستان، وأرغب في التخفيف عن هذا الشعب المسكين.

تركي: ألا تعاني من ضعف في موقفك العسكري في صراعك مع طالبان؟!

مسعود: صحيح أن طالبان تهاجمني من خمس جهات، لكنهم يظنون أنني سأستسلم بهذه الطريقة. إنهم لا يعلمون أن هذا مُحالٌ بالنسبة لي. تأكد أن أهالي المناطق التي تسيطر عليها طالبان، سيثورون عليهم في أي لحظة، فظلمهم لا يُحتمل.

تركي: لكنهم متدينون والأفغان يحبون المتدينين...

مسعود: هل تدري أن في طالبان من يضع لحية للديكور، مع أنهم من حزب خلق الشيوعي!

بعد الغداء، عاد مسعود وجلال لمزيد من المفاوضات، ولمّا حلَّ الليل، كان لا بد لنا من المبيت في بنجشير، قبيل العودة إلى الجزء الطالباني، نحن والأسرى المفرج عنهم من قبل مسعود.

obeikandl.com

obeikandl.com

سبعة دولارات راتب الوزير

obeikandl.com

أنهينا مهمتنا في بنجشير، وعدنا إلى كابول، فكان الموعد مع وزير طالباني، يتعاطى مع شأن الصناعة، مع أنه درس العلوم الدينية. لكن مقابلته كانت ضرورية لكي تعرض مآخذ أحمد شاه مسعود تجاه طالبان، على أحد أركانها، من باب إتاحة الفرصة للجميع.

الحديث مع وزير المعادن والصناعة مولوي أحمد جان، كان مهماً، فهو ينبيك بالكثير من أساليب طالبان في الحكم والإدارة، والتعاطي مع الأشياء.

كنتُ أسمع عن تقشف قيادات طالبان، لكن لم يخطر ببالي، ولا تصور خيالي، أن يكون راتب الوزير في حكومة طالبان، لا يتجاوز سبعة دولارات أميركية... فقط!

obeikandl.com

ولو لم أسمع ذلك بأذني من وزير المعادن والصناعة في حكومة طالبان، مباشرة، لما صدّقته.

ظهر الخميس، كنتُ في وزارة المعادن والصناعة، ولما دخلت على الوزير، فوجئتُ بأنه شاب لا يتجاوز آنذاك ٣٣ عاماً من العمر.

إنه مولوي أحمد جان. شارك جان في الجهاد منذ بداياته في بكتيا، وكان والده شيخاً في الحديث، وهو كان أميراً للمجاهدين في منطقتهم، واسمه الحافظ مولوي حافظ شاه.

درس الوزير الشاب في باكستان علوم الشريعة، وهو طلق الوجه، معتدل القامة، ومن المفارقات أنه كان يعمل في الرياض بائعاً للسجاد في محل ضمن مجموعة من المحلات المؤقتة شرقي العاصمة السعودية، قبل أن يصبح وزيراً.

قال الوزير، الذي تبوأ الوزارة منذ دخول طالبان كابول: إن وزارته تقوم على متابعة خمسين مصنعاً في أنحاء أفغانستان، تنتجُ القماش، والزيوت، والسماد، والرخام والأحجار، والإسمنت، والقطن، والأواني المنزلية.

وتتراوح أعداد العاملين في هذه المصانع بين ٢٥٠٠ و٥٠٠٠ عامل في المصانع الكبرى، فيما تتراوح أعداد العاملين في المصانع الصغرى التي يبلغ عددها نحواً من ١٥٠ مصنعاً، بين الثلاثين والمئة عامل.

زاد الوزير الذي بدا متحمساً: لدينا طلبات لإنشاء مصانع جديدة، يُقدّر عددها بما يزيد على مئتي طلب. لم يكن لدينا أي مصنع قبل ثلاث سنوات، لكننا شجعنا الصناعة أخيراً، فكان الإقبال فوق المتوقع.

obeikandl.com

سألته: وهل تملك الدولة المصانع؟!

فرد: بعضها ملك للدولة، ونديره نحن، وبعضها نملكها، لكننا أجَّرناها لمستثمرين.

تركي: وما هو حجم دخلكم من هذه المصانع؟!

مولوي جان: دخلنا من مصانع السماد التي تملكها الدولة ٦٠٠ ألف دولار شهرياً. مجمل دخل الدولة من المصانع يتراوح بين مليون ونصف المليون دولار ومليوني دولار. سنصل إلى المليونين قريباً، بعد أن يدخل في حسبتنا إنتاج مصانع الإسمنت والسماد في مزار شريف.

تركي: ما هي المعادن التي تستخرجونها؟!

مولوي جان: النحاس، والذهب، والياقوت، واللازوردي، والكثير من الأحجار الكريمة، بالإضافة إلى الرخام بأنواعه، والكروم.

لدينا في هرات صناعات الأسمدة، ونحن نصدر الكثير منها إلى تركمانستان، وأوزبكستان، كما أننا نصدر صناعات الأقمشة إلى تركمانستان.

وهناك بعض المصانع الصغيرة، تنتج صناعات بلاستيكية أساسية.

تركي: حضرتكم مولولي، تلقيتَ العلوم الدينية، وتدير وزارة تتعاطى مع الصناعات والمعادن، تخصصكم شأنٌ لا علاقة له بتخصص الوزارة. أريد أن أنفذ من ذلك؛ لأنقل لك اتهاماً يردده منتقدوكم، بأنكم طلبة علم شرعي تديرون دولة. ما تعليقكم؟!

مولولي جان (ابتسم طويلاً، ثم قال): أسمع هذا الاتهام من وقت إلى آخر، لكن في وزارتنا عشرة طلاب (طالبان)، والباقون مهندسون يعمل كل واحد في تخصصه الدقيق.

obeikandl.com

تركي: جميل. ابتسامتك تشجعني لأحدثك في اتهامات أخرى توجه لكم في طالبان.

مولوي جان: خذ راحتك. قل ما شئت. أنا مستعد لسماع ما لديك.

تركي: حركة طالبان تتهم بأنها قندهارية. أي أنها تتعصب للمنتمين إلى قندهار، موطن زعيم الحركة، ملا محمد عمر.

مولولي جان: بدأت الحركة من هناك، من قندهار، ولذلك كان معظم أنصارها من مكان انطلاقتها. لكنها بعد ذلك أصبحت تستقطب الناس المنتمين إلى غير قندهار.

تركي: لكن معظم الوزراء قندهاريون!

مولوي جان: هذا ليس صحيحاً. وسوف أستعرض معك الوزراء واحداً واحداً؛ لترى أن معظمهم ليسوا من قندهار. أنا مثلاً من بكتيا كما قلت لك، ولستُ قندهارياً.

(انظر الجدول آخر هذا الفصل، فقد عبأه الوزير مع المؤلف).

تركي: يُقال إن معظم المنتمين إلى طالبان، لم يشاركوا في الجهاد الأفغاني، بل كانوا يدرسون العلوم الشرعية في باكستان وقت الجهاد. ما رأيك؟!

مولولي جان: هذا أيضاً ليس صحيحاً. ولو استعرضت الإصابات الدائمة التي لحقت بمعظم قيادات الحركة من أثر مشاركتهم في الجهاد، لتأكدتَ مما أقول لك. خُذ مثلاً:

- أمير المؤمنين، ملا محمد عمر، أصيب في عينه.

- ملا محمد رباني، رئيس الوزراء ورئيس مجلس الشورى، مصاب في ظهره.
- ملا أحمد الله ناني، وزير الاتصالات، رجله مقطوعة.
- ملا داد، وزير الفوائد العامة (العمل)، أصابعه مقطوعة، وعينه مفقوءة، وفي جسده إصابات عديدة.
- ملا نور الدين ترابي، وزير العدل، عينه مفقوءة، ورجله مقطوعة.
- مولولي محمد حسن، والي قندهار، رجله مقطوعة.
- مولوي عبدالمجيد، أمين العاصمة كابول، رجله مقطوعة.

كل هؤلاء أصيبوا في الجهاد ضد الروس. خلافاً لغيرهم ممّن جاهد ولم يصب، وهم كثير.

وانظر إلى الجدول؛ لترى إلى من كان ينتسب هؤلاء من جماعات المجاهدين قبل بداية طالبان.

تركي: الاتهام الأبرز الموجه إلى طالبان، يتعلق في تعاملها مع المرأة، فقد رفضتم تعليم المرأة، كما أنكم تعاملونها بقسوة.

مولوي جان: في كابول، قبل أن تدخلها طالبان، كانت الفواحش منتشرة وكثيرة. كان هناك مصنع للخمور أيام ربّاني. صحيح أنه لم يكن يعمل في وقته، لكننا اليوم حوّلناه إلى مركز لصناعة الأدوية، واسمه مصنع متممي الطبي.

فيما يتعلق بإلزام النساء بتغطية الوجه، فهذا لا يحدث إلا في كابول، والهدف ألا يفتتن الناس بوجوه النساء. لكن في خارج كابول، كشف الوجه منتشر، وليس لدينا مشكلة معه؛ لأنه لا يؤدي إلى الفتنة كما في العاصمة، فالقرى لديها تقاليد تمنع الفتنة.

لقد أعلنا وجوب ارتداء الحجاب عبر الإذاعة، وقلنا بأن هذا الالتزام بالحجاب الإسلامي أصبح واجباً على المرأة التي تخرج من بيتها.

أنت لا تعلم أن اللباس الأوروبي القصير كان منتشراً بين النساء في كابول، قبل أن نأتي إليها. الآن أصبحنا نلزم النساء بلبس ما يربو على الكعبين.

تركي: وماذا عن ضرب الناس والشدة معهم تحت حجة تسليم السلاح؟!

مولوي جان: لا بد لنشر الأمن من جمع السلاح من أيدي العامة. عندما يعرف عناصرنا أن شخصاً كان قائداً، وأن لديه أسلحة، فلا بد من الشدة معه لتسليم أسلحته. رأيتُ بعيني شخصاً سأله الطلاب عن السلاح فقدم بندقيتي كلاشينكوف، ثم بعد أن شدّوا عليه أخرج مائتي قطعة سلاح.

إن نتيجة تصرفاتنا هذه انتشار الأمن في مناطقنا، إثر جمع الأسلحة.

تركي: وماذا عن اقتحامكم المنازل؛ بحثاً عن المنكرات في بيوت الناس؟!

مولوي جان: نحن لا ندخل البيوت إلا إذا رأينا فواحش فيها. وقد أعلنا في الإذاعة أن أي شخص يقتحم منزلاً فهو ليس من الحكومة، ما لم يقدم إذناً رسمياً مكتوباً من جهة رسمية بالاقتحام. وقد وضعنا هاتفاً للاتصال في حال لم يقدم المُقتحم الإذن، لمعاقبته.

تركي: هذه المشكلة نشأت لأن موظفي الدولة الذين يقومون بأدوار الشرطة لا يرتدون زياً شرطياً يميزهم عن الآخرين، فلماذا تمنعون الزي الشُرطي؟!

مولوي جان: طالبان حركة شعبية، ولم تعتد على الطقوس الرسمية. ربما بعد أن نسيطر على كل أفغانستان نبدأ بالعمل بزي يميّز رجال الأمن عن غيرهم.

تركي: تحدثت كثيراً عن استخدامكم الإذاعة في تعميم ما تريدونه على الناس، هذا يجرني للسؤال عن موقفكم الرافض للتلفاز. لقد أخرجتم ملايين الأجهزة ودمرتموها بالنظر إلى رفضكم التلفاز.

مولوي جان: في عصر ربّاني كان التلفاز يبث أفلام الفيديو الماجنة. وكذا وقت حكمتيار أيضاً، كانوا يبثون كل أسبوع ليلة الجمعة فيلماً هندياً. هذا بالإضافة إلى الغناء والمجون. نحن نرفض إفساد الناس. لقد أعلنا أن التلفاز ممنوع في أفغانستان، وأمهلنا الناس ثلاثة أشهر؛ ليخرجوا التلفازات من بيوتهم. وبعد أن جمعناها باعها الأهالي، وأخرجت إلى باكستان لبيعها هناك.

تركي: لماذا ترفضون الصلح مع المعارضة، حقناً لدماء شعبكم، طالما أنكم تنشرون الأمن في مناطقكم؟!

مولوي جان: في أفغانستان كانت هناك قوات وجماعات متعددة، كانوا يختلفون، ثم تجمعهم المفاوضات، فيخرجون منها باتفاقات صورية بالصلح، لا تلبث أن تُنقَض فوراً. لقد تفاوضنا مع حكمتيار، وخليلي، ودوستم، ومسعود، وسياف. لم يبق منهم ذو شأن هذه الأيام إلا مسعود. صحيح أن المفاوضات خير من القتال، لكننا وجدنا هؤلاء منذ ١٨ عاماً يتحاربون مع بعضهم، ثم يتفاوضون، ويحلفون بالله إنهم سيوقفون الحرب، ثم ينكثون بأيمانهم.

نحن نريد الحوار، لكننا لا نضمن أنهم سينفذون ما نتفق عليه. لقد وجدناهم يقسمون على الصلح، وإذا خرجوا من مكان التفاوض تقاتلوا.

تركي: من الاتهامات الموجهة ضد طالبان أيضاً سماحها بزراعة المخدرات في مناطقها.

مولوي جان: نحن نخضع للفتوى. عندما أفتى العلماء بتحريم الحشيش قطعياً، قطعت زراعة الحشيش في مناطقنا تماماً.

الأفيون لم تصدر فتوى قاطعة في تحريمه. ولذلك نحن نقول: أعطونا البدائل لزراعة المخدرات. أين الأمم المتحدة لتساعد المزراعين في توفير المياه لزراعة أنواع أخرى من المحصولات. يمكننا أن نصدر الأفيون المستخدم في الأغراض الطبية. الهند تبيع سنوياً بما قيمته ٥٠٠ مليون دولار من الأفيون للاستخدامات الطبية، وهذا يتم بإشراف دولي. أين الإشراف الدولي منا، ليساعدنا؟. تعالوا، وساهموا معنا في إيجاد المياه، فهناك من لديه خمسون فداناً، والماء المتوافر لديه لا يكفي إلا فدانين، وهذا بالتأكيد سيزرع المخدرات؛ ليحصل على دخل يعوضه عن الفدادين التي لا يستطيع زراعها.

الأفيون لا يحتاج إلى الكثير من المياه، ولا يزرع إلا في مناطق نينقارهار، وهلمند، وبعض مناطق الشمال. وهذه المناطق لم ير علماؤها حرمة الأفيون.

تركي: لكنكم تشرفون على زراعة الأفيون!

مولوي جان: ليس صحيحاً، بل إن الحكومة لا تأخذ حتى الضرائب على زراعته، بل إن التجار بينهم وبين طالبان حروب كثيرة.

تركي: أنت عضو في مجلس الوزراء الطالباني. كم مرة تعقدون اجتماعاتكم؟

مولوي جان: هناك اجتماع يعقد مرة كل أسبوع.

تركي: ماذا تدرسون في اجتماعكم؟

مولوي جان: نناقش المشاكل الداخلية، وشؤون المواطنين، بالإضافة إلى درس المشكلات التي تتصل بعلاقاتنا بالدول الأخرى. فقد ناقشنا الضربات الأميركية بصواريخ الكروزر لمناطق أفغانية، والحرب مع إيران. ثم نرفع نتائج نقاشنا إلى أمير المؤمنين، ملا محمد عمر. أقصد أن كل عضو يُقدم رأيه، ثم يختار المجلس رؤية واحدة يرفعها إلى أمير المؤمنين.

تركي: وهل تجتمعون مع ملا محمد عمر بشكل فردي؟

مولوي جان: نعم لنا اجتماعات فردية معه.

تركي: ماذا عن الخلاف بين ملا عمر، زعيم الحركة، وملا ربّاني، رئيس مجلس الوزراء؟

مولوي جان: الاختلاف ينشأ عادة على السلطة، أو على المال. وهذا ليس موجوداً بيننا. تأكد أن ملا ربّاني لو قال له أمير المؤمنين: اجلس في بيتك لجلس.

حفظ اللّه أمير المؤمنين. مدير مكتب وزارة الخارجية، كان وزيراً للتخطيط، ثم حوّله إلى مدير مكتب وزارة، فقبل. لقد غير أمير المؤمنين ثمانية وزراء تعاقبوا على وزارة الصحة العامة، فقبل كل واحد منهم، ومنهم ملا عباس، وملا غوث، وآخرون.

تركي: لكن ملا غوث لم يقبل.

مولوي جان: تغير ملا غوث على أمير المؤمنين.

تركي: من يعين الوزراء؟!

مولوي جان: أمير المؤمنين، ملا محمد عمر.

تركي: وكم راتب الوزير؟

مولوي جان: راتب الوزير سبعة دولارات. (الدولار يعادل ٣٣ ألف أفغاني حينها).

تركي: فقط!

مولوي جان: نعم. باستثناء رئيس القطاعات، فراتبه يعادل عشرة دولارات؛ لأنه يشرف على تحصيل الأموال.

تركي: هل يكفيكم الراتب للمعيشة؟!

مولوي جان: نحصل من الحكومة على منزل، تابع للحكومة، وسيّارة، وسائق، ومصاريف وقود للسيارة.

تركي: هل يكفي ذلك مصاريفك؟!

مولوي جان: لا. أحصل على باقي مصاريفي من إخواني. بعضهم يعمل في الخارج.

obeikandi.com

الغــروب في وطـن ينام

تحت عمائم مقاتليه

obeikandi.com

obeikandl.com

وبعدُ... فقد انتهى الحوار وانتهت معه الرحلة الأثيرة...

شمسٌ تغرب في قلبك، وقمرٌ يبكي على صفحاتك...

لحظة انعتاق الضمير، وهو يُقلّب الحقائق أمامه، على ورقه، الذي يشبه تعرجات وطن مذبوح... بيد أبنائه!

يتوجس، هذا الوطن، يدهُ التي لم تبرد من أثر سلام بين سلاحين...

كم من التشوهات المخيفة، التي تعلقت بالقلب، وأنا أكتب حروفاً عن لوحة انطبعت في الذاكرة...

عشر سنواتٍ وأنا أستجرها من الضمير...

obeikandl.com

كم هم الذين تحدثت معهم، وقد أصبحوا الرصاصة الممتدة في سلاحهم، ليجدوا أنفسهم موتى في الحفرة ذاتها؟!

رحلة أفغانستان... دواة أستجير فيها، كلما رأيت حرباً تبدأ من الذات...

إن الصفقات الأخيرة تعقد في بيوتٍ لم تسمع ذات يوم طلق نارٍ، ولا هجيراً لحفاة الأقدام، ولا زمهريراً لعراة الأجساد...

إنها حرب تبدأ باسم الله، وتنهي باسم آخر حرفٍ في أحد قصور تجّار الحروب...

رحلة أفغانستان... رائحةُ الموتِ الكريهة... وطبيعةُ وادٍ ينسابُ وحده، تعلّم ألا يخوض الحروب، ولو كانت سبباً لاحمرار لونه.

عرفَ أن الماء يسير... والقناعات تصرعُ شهداء، وقتلة، ثم تتغير...

والثمن دمٌ، ولعنةٌ، وصغيرٌ، لايعرف لماذا خطفوا روحه العصفورية.

إلى خطوتي الأخيرة... قبل أن تصعد الطائرة الوحيدة من كابول، هل كان سُلّم الطائرة يشبه المسافة بين سيفين، حينما قالوا... انتبه لخطواتِكَ حتى لا تُفَجِّرَ لغماً؟!

ربما أرادوا حتى لا أفجر الحقيقة...

أردتُ، هنا، أن أجمع شتات حروفٍ، أتمنى ألا أكون أحد من أودعها بغير حقها... إنها الحروف الضائعة، في جيوب الطائرات الخاصة...(م و ض ع ي ة)!

obeikandl.com

ملاحق

obeikandl.com

obeikandl.com

ملحق (١): ترتيب السلطات في طالبان

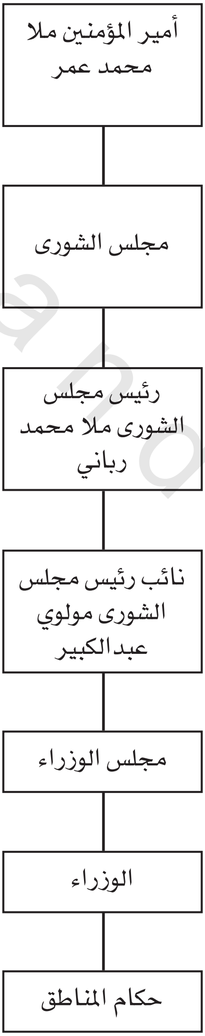

obeikandl.com

ملحق (٢): وزارات طالبان وانتماءات الوزراء

الرقم	الوزير	الوزارة	منطقته	جماعته قبل طالبان
0	ملا محمد رباني	رئاسة الوزراء	قندهار	حركة ثم خالص
1	مولوي عبيد الله	الدفاع	قندهار	حركة مولوي محمد نبي
2	مولوي حميد الله	الاستخبارات	غزني	حركة
3	مولوي حميد الله نعماني	التعليم العالي	غزني	حركة
4	مولوي أحمد جان	المعادن والصناعة	بكتيا	حركة
5	مولوي عبداللطيف منصور	الزراعة	بكتيا	حركة
6	ملا غياث الدين آغا	التربية والتعليم	فارياب	جمعية رباني ومسعود
7	مولوي محمد طاهر أنوري	المالية	بكتيا	حركة
8	مولوي جلال الدين حقاني	الحدود والقبائل	خوست	خالص
9	قاري (أي قارئ للقرآن) دين محمد	التخطيط	بدخشان (طاجيك)	جمعية
10	مولوي عبدالرقيب	المهاجرين	تخار	جمعية
11	ملا محمد حسن	الخارجية	قندهار	حركة ثم خالص
12	ملا محمد خان متقي	الثقافة والإعلام	هلمند	حركة
13	ملا خير الله	الداخلية	قندهار	حركة
14	ملا محمد عباس	الصحة	روزقان	
15	ملا حفيظ محب الله	الحج والأوقاف	هلمند	حركة
16	ملا نورالدين ترابي	العدل	روزقان	سياف- كان وزير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
17	ملا عبدالولي	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	فراة	حركة
18	ملا آلا داد	وزارة الفوائد العامة (العمل)	روزقان	تنظيم المجاهدين
19	مولوي أحمد الله ناني	وزارة الاتصالات	قندهار	حركة

كانت الوزارات ٢٢ وزارة، ثم صارت ١٩ بعد إلغاء ثلاث وزارات.

obeikandi.com

ملحق (٣): أعضاء مجلس الشورى في طالبان

الرقم	العضو	الصفة	منطقته
1	ملا محمد رباني	رئيس مجلس الشورى	قندهار
2	مولوي عبدالكبير	نائب الرئيس	خوست
3	مولوي سيد غياث الدين	عضو	فارياب
4	ملا محمد عباس (وزير الصحة)	عضو	روزقان
5	ملا غوث	عضو (فصل لخلافه مع ملا محمد عمر)	قندهار
6	ملا فاضل	عضو	روزقان
7	ملا عبدالرزاق	عضو	قندهار

obeikandi.com

obeikandl.com

ملحق الصور

obeikandi.com

obeikandl.com

مسعود خلال حديثه للمؤلف

منزل الحاج تاج الدين والد زوجة مسعود

أسرى طالبان الذين أفرج عنهم مسعود في طريقهم إلى كابول

حديقة في بنجشير

جانب من وادي بنجشير

وادي بنجشير

هل تعلم الطيور بأمر الحرب؟

وادي الأسود الخمسة

أرض المعركة

جبهة القتال بين طالبان ومسعود

صورة من الجبال المحيطة بجبهة القتال القريبة من كابول

obeikandl.com

جلسة باسمة بين المؤلف وجلال ومسعود

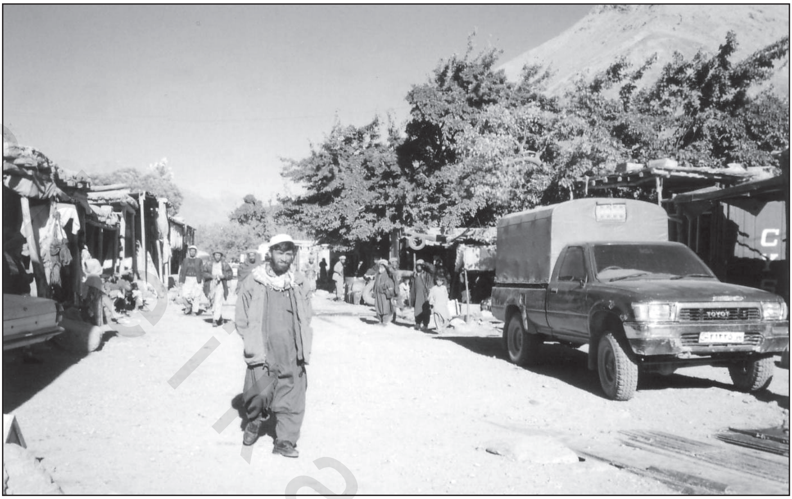

المحلات التجارية في بنجشير

حديقة طبيعية في بنجشير تعيش على الأمطار

خط المواجهة من جهة طالبان

«بنجشير» وادي الأسود الخمسة

obeikandl.com

أحمد مسعود في يوم مقابلة المؤلف له

مسعود وسيد جلال

obeikandl.com

حديقة طبيعية في بنجشير

مجلس بسم الله خان وتبدو صورة مسعود معلقة

المؤلف مع الحاج تاج الدين وتبدو الجبال المحيطة بوادي بنجشير

obeikandl.com

23
٢٣
VISAS التأشيرات
جنرال قونسلگری دولت اسلامی افغانستان مقیم پشاور
Consulate General of the Islamic State
of Afghanistan in Peshawar.
Name اسم
Visa No. نمبر ویزه
Date of Issue تاریخ صدور
Valid up to Three months موعد اعتبار
No of entries: Single - Double - Multiple
دفعات دخول: یک مراتبه، دو مراتبه، چندین مراتبه
Purpose of Journey Visit
مقصد مسافرت
Travel by Road مسافرت ذریعه
SAUDI PASSPORT
PESHAWAR GENERAL CONSULATE